قصص بوليسية للأولاد

لغز الخريطة العجيبة

Looloo
www.dvd4arab.com

اللغز الصغير الغامض

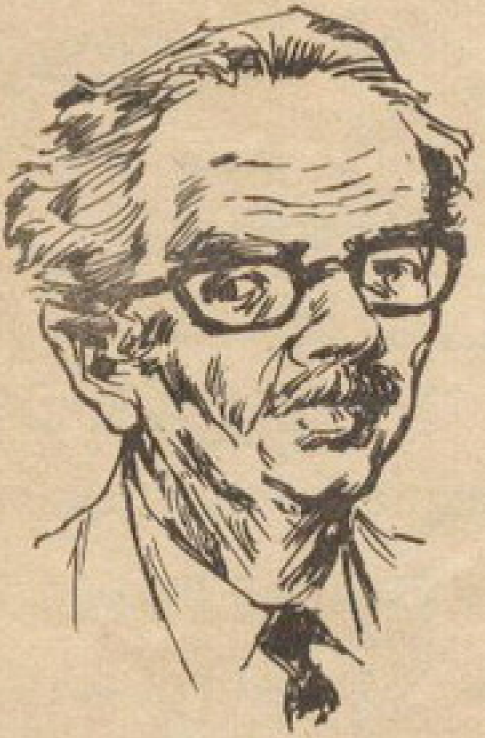

الجدّ عمران

كان عارف يرقد على سريره إثر نوبة من الإنفلونزا الحادّة أصابته منذ أسبوع .

عندما دخل عليه أخوه الأكبر عامر وقال له : كيف حالك الآن يا عارف ؟ . ولما لم يتلقّ منه رداً غادر الغرفة .

وخارج الباب قابل أخته عالية وكانت فى طريقها للسؤال عن صحة أخيها ، فحذّرها قائلا : أنصحك بعدم الدخول ، فحتى قطه المحبوب مرجان الذى لا يفارقه لحظة ، طرده من الغرفة ، بالرغم من إلحاحه فى الدخول ، ومِوائه المستمر .

قالت له **عالية** : أنا أيضاً كنت مريضة ولكنى لم أفعل مثله ! فضحك عامر وقال لها : لأن البنات يتحملن عادة أكثر من الأولاد !

فقالت عالية وهى تتنهّد : لا بأس ، ربما يخرجه جدّو عمران من حالة الكآبة التى تلازمه عندما يصل باكراً !

وجدّو عمران هو جدّهم لأبيهم ، يحبونه حبّاً جمّاً . ويترقبون زيارته باشتياق من آن إلى آخر .

أرسل الجدّ خطاباً بأنه سيصل إلى القاهرة ، متعلّلاً بأن له وقتاً طويلاً لم يرهم فيه !

أخذ الإخوة الثلاثة يتناقشون فيما بينهم : ترى ما هى أسباب هذه الزيارة المفاجئة ؟ وهل يتحمل عجوز مثله مشقة السفر الطويل ؟ لمجرد رؤية أحفاده ؟

وأخيراً قالت عالية : ربما كان جدّو يشعر بالوحدة ! فأجابها عامر : أو ربما كان هناك سبب آخر نجهله لهذه الزيارة المفاجئة .

° ° °

والإخوة الثلاثة : عامر وعارف وعالية ليسوا ككل الأطفال . فهم يمتازون بالذكاء الخارق ، وبسرعة البديهة الحاضرة ، وبالشجاعة الفائقة ، ورجاحة العقل ، وبعد النظر . وما يميزهم عن غيرهم هو حبّهم للمغامرات والمخاطرات ، ومحاولة اجتياز كل ما يصادفهم من عقبات .

كما أنهم يمارسون العديد من الهوايات ، لعل أبرزها شغفهم بحل طلاسم الألغاز والأسرار التى تصادفهم فى الحياة ، وهم ينجحون دائماً فى ذلك ، ويصلون فى النهاية إلى هدفهم ، ولم يفشلوا فى ذلك ولو لمرة واحدة !

والأخ الأكبر عامر هو الرأس المفكر المدبّر ، الذى لا يعصى عليه لغز . يلجأ عارف وعالية إليه فى كثير مما يستعصى عليهما كشفه ، وقد كان دائماً عند حسن ظنهما به .

وعارف هادئ متزن ، غير متسرع ، يأخذ الأمور بتأنٍ وروية ، فهو صمام الأمان لهذا الثالوث !

أما عالية الصغرى فهى رقيقة جذابة ، لمّاحة ، ذكية ، لا تفوتها شاردة ولا واردة ! وكم كان لملاحظاتها الدقيقة من أثر حاسم فى الوصول إلى الحلول الصحيحة .

وكان والدهم يشجعهم على ما يقومون به من أعمال ، طالما أنها لا تتدخل فى أعمالهم المدرسية . بل كان يفخر ويزهو بهم عندما يصل إلى سمعه إعجاب الأهل والأصدقاء بهم ، وبمغامراتهم . وكشفهم الأسرار والألغاز المستعصية المبهمة !

° ° °

دخل «عمران» المنزل وجلس وسطهم يتفرس فى وجوههم

وصل التاكسى يحمل الجدّ عمران ، وكانت عيونهم الستّ ترمقه من وراء النوافذ !

إنه عجوز حقًّا ! .. كان يتوكأ على عصاه ، بالكاد تقوى ساقاه على حمله . لاشك فى أنه يشعر الآن بالإرهاق بعد الرحلة الشاقة الطويلة .

دخل عمران المنزل وجلس وسطهم وهو يتفرّس فى وجوههم . صحيح إنه عجوز فى الثمانين من عمره ، ولكن علامات الذكاء كانت تشعّ من عينيه البرّاقتين .

ألقى عليهم الجدّ نظرة فاحصة ثم قال : أنت عامر .. وأنت عارف .. وأنت عالية طبعاً ! إنكم لم تتغيّروا منذ زيارتى لكم فى العام الماضى .

نطق عامر وعالية فى صوت واحد : هذا صحيح يا جدّو ! ولكن طولنا زاد قليلا !

أما عارف فقد لزم الصمت كعادته ، ثم ما لبث أن اندفع خارجاً يقصد حجرته ! ..

اندهش الجدّ عمران من تصرّف عارف الغريب . ولكن عالية اعتذرت له ، وأوضحت أن أخيها كان مريضاً بالإنفلونزا ، وأن الرقاد الطويل ربما أثّر على أعصابه ! ولكنه

فى العادة ولد مهذب ، دائم الحركة والنشاط .

قال الجد عمران : عارف فى حاجة إلى تغيير الهـواء والمكان بعد مرضه ، وأنت أيضاً يا عالية ، وأنت يا عامر . ما رأيكم فى إجازة قصيرة تقضونها بمنزلى فى مرسى مطروح ؟

نظرت عالية إلى والدها نظرة استعطاف ، وكان يجلس معهم ، وكأنها تستحثه على قبول هذه الدعوة الكريمة .

وافق الوالد فى الحال ، على أن يلحق بهما عامر خلال أيام ، بعد أن ينجز له عملاً هاماً كلفه به . وقال إن الفرصة سانحة ، خاصة أن إجازة آخر السنة سوف تبدأ بعد أربعة أيام .

نادت عالية على أخيها عارف ، فجاء فى تكاسل وتراخ ، وزفت إليه الخبر المفرح . وهنا فقط انفرجت أساريره عن ابتسامة مشرقة عريضة .

قال الجد عمران : إن منزله يوجد على بُعد قليل شرق مرسى مطروح ، ويقع فى سفح ربوة صخرية عالية قريبة من شاطئ البحر . وأضاف أن بهذا الشاطئ بعض الصخور العالية ، وهى تشبه صخرة روميل الشهيرة ، وبعض الكهوف الصغيرة المهجورة ! ! . .

صمت عمران قليلاً ، ثم نظر إليهم مبتسماً فى دهاء ، وقال : وهناك سبب وجيه آخر بجانب النزهة وتغيير الهواء ! ! . .

نطق عارف – لأول مرة منذ أسبوع – وهو يكاد يطير من الفرح : وما هو هذا السبب ياجدّو ؟ فأجابه :

عندى هناك لغز صغير غامض . أرجو أن تساعدونى على حله ! !

وعندما سمع عامر بهذا الخبر ، شعر بالحسرة والندم لأنه لم يصب مثلهما بالأنفلونزا ، وبانشغاله فى عمل هام ، حتى كان يصاحبهما فى الحال ليشترك فى حلّ هذا اللغز الغامض الصغير !

° ° °

وصل الجد عمران وعارف وعالية إلى الإسكندرية ، وكان عارف يحمل بين يديه قطة « مرجان » الذى لا يفارقه لحظة واحدة . ومرجان قط أسود ضخم ذو عيون خضراء كبيرة كعيون النمر .

وبعد ساعة انتقل الأربعة إلى قطار آخر ، أخذ ينهب بهم الأرض فى سرعة إلى مرسى مطروح .

كان عارف وعالية ينظران من نافذة القطار ، ويدهشان

من رؤية رمال الصحراء المترامية الأطراف ، ومن طواحين الهواء المنتشرة على الساحل ، وهى تدور بفعل الرياح .

شرح لهما عمران عمل هذه الطواحين ، وأنها تستخرج المياه من جوف الأرض لرىّ الصحراء .

أما القط مرجان فكان يستغرق فى النوم ، لا تهمّه مياه البحر الزرقاء ، أو رمال الصحراء الصفراء ، أو طواحين الهواء !

وعندما وصل القطار إلى مرسى مطروح ، ركب الأربعة الطفطف الذى ينتشر استعماله فى هذه المدينة . والطفطف هو عربة صغيرة تظللها تندة من القماش ، ويجرها حمار !

وكان الحمار يتهادى وهو فى طريقه إلى دار عمران مسكن العائلة من قديم الزمان .

وتقع هذه الدار العتيقة أسفل ربوة صخرية عالية تعرف باسم صخرة عمران ، وتبعد حوالى نصف كيلو متر من مرسى مطروح ، ومائة متر من شاطئ البحر الأبيض المتوسط .

وعائلة عمران هى أقدم وأعرق من سكن هذه المنطقة ، وكان سائق الطفطف يعرف الجدّ عمران جيداً .

كان عمران يحذّر السائق من وعورة الطريق ، وخاصة

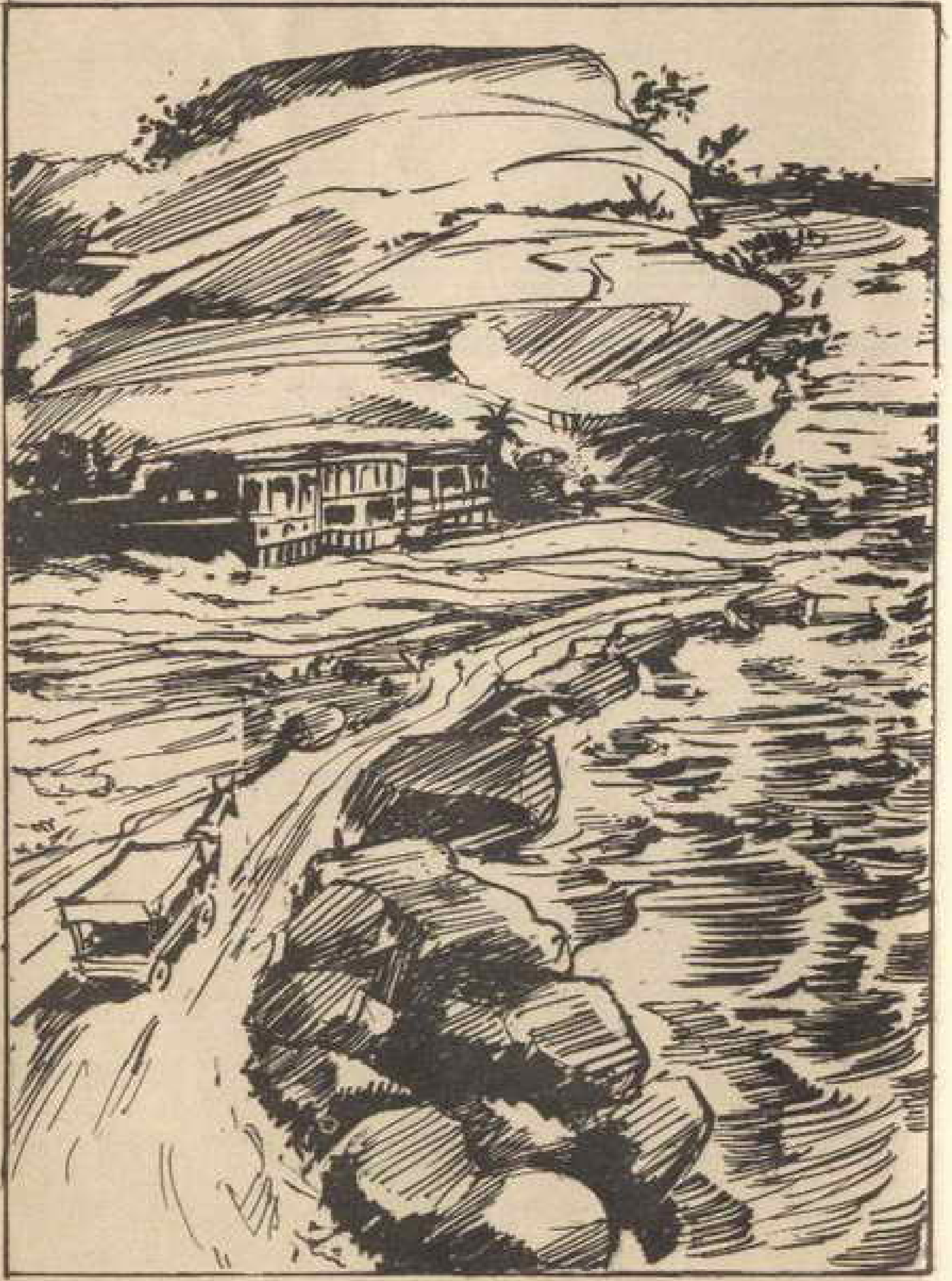

دار عتيقة تقع أسفل ربوة صخر عالية تعرف باسم « صخرة عمران »

عند حافة منحنى يدور حول الصخرة العالية !

قال **السائق** : لا تخافوا ما دام معنا قط أسود ! !

فضحك عمران وقال **لعارف** : أسمعت يا عارف ! سوف يشتهر قطك الأسود مرجان فى هذه الناحية !

اندهش **عارف** وسأل جدّه عن السبب ، فأجابه الجد بأن الناس هنا يؤمنون بالخرافات ، ويتشاءمون مثلاً من القط الأبيض ، فى حين يتفاءلون بالقط الأسود ! !

ثم استرسل فى حديثه قائلاً : جاءنى أحد الصيادين من مدة ، وكان يرتعد من الخوف ، وأخبرنى أنه شاهد ثمانية من الغربان السوداء تطير فوق رأسه ، وذلك عندما كان يقف . . . .

توقّف الجد فجأة وهو يتردد فى الحديث ! فسأله عارف : أين كان يقف هذا الصياد ؟ . . فأجابه عمران : قريباً من هذا المكان ! ! . .

وهنا التفت السائق نحوهما قائلا : هنا . . على حافة صخرة عمران ! . فانبرى له عمران وهو يحاول تغيير مجرى الحديث : هذا كلام فارغ ! . . ما هى إلاّ خرافات وخزعبلات ! ! . .

وفى النهاية وصل الطفطف بالقافلة الصغيرة أمام بوابة حديقة الدار . فقال عمران : ها قد وصلنا والحمد لله ، وها هى مبروكة فى انتظارنا .

صاحت عالية فى دهشة : يا له من منزل كبير ! كيف تعيش فيه وحدك يا جدّو ؟ . وقال عارف : ومن تكون مبروكة هذه ؟ فأجابه عمران بأن مبروكة ترعى شئونه ، وأنها التحقت بخدمته منذ ستة أشهر تقريباً !

نظر عارف وعالية إلى مبروكة ، وكانت تلبس جلباباً أسود ، وتضع طرحة سوداء على رأسها ، ولها أنف مقوّس ، وعينان مستديرتان كعيون البوم !

خيّل إليهما أن مبروكة لا ترحّب بقدومهما ، وأنها تنظر إليهما شذراً ، ولذلك فهما لم يشعرا نحوها بالميل أو العطف من النظرة الأولى !

دخل الجميع إلى صالة المنزل الرحبة ، حيث وقف عارف وعالية وهما مندهشان من أثاث المنزل القديم الأثرى . شاهدا ساعة مرتفعة ، ذات بندول طويل يروح ويجىء يميناً وشمالاً ، وكانت تدقّ بصوت عالٍ يرنّ فى أرجاء المنزل . وبجوار الساعة شاهدا سحّارة قديمة مطعمة بالعاج والصدف .

وتزيّن الحوائط رؤوس غزلان محنطة ذات قرون حادة ، وهى مما كان يصيدها جدّهما فى شبابه فى الصحراء المجاورة .

أما القط مرجان فأخذ يموء بصوت عالٍ ، ورفع ظهره وذيله إلى أعلى وهو يتحفز للهجوم ، فقد فوجئ ببغاء خضراء كبيرة فى قفص جميل ، وهى تصيح فى وجهه : ازيّك ! إنت مين ؟ أهلاً وسهلاً ! . .

صعد عارف وعالية إلى الدور العلوى ، وكان السلّم ضيقاً ومظلماً ، ومبروكة تسير خلفهما على ضوء مصباح صغير . لأن الدار كانت خلواً من الكهرباء ! !

فتحت مبروكة باباً وقالت لعارف : هذه هى حجرتك ، والغرفة المجاورة لأختك .

ولكن قبل أن يتحرك عارف وعالية . . حدث شىء غريب ! ! . . فقد وصل خادم صغير فى سن عارف تقريباً ، وهو يحمل لهما حقائبهما ، ثم وضع الحقائب بجوار الباب ، وانحنى فجأة يلتقط شيئاً ملقى على الأرض !

رأته مبروكة وهو يفعل ذلك فصاحت فيه بغضب : ماذا تفعل يا سمارة ؟ . فأجابها : وجدت عقب سيجارة ! . فصرخت مبروكة فى وجهه : عقب سيجارة ! ! . .

لا أحد هنا يدخّن ! . . أنت تتوهّم ! هذه قطعة ورق صغيرة ! .

ثم أسرعت فى التقاطها ودسّتها فى جيب جلبابها !

دخل عارف حجرته يتبعه سمارة حاملاً حقيبته ، على حين صحبت مبروكة أخته عالية لتفتح لها باب غرفتها المجاورة .

نظر عارف إلى سمارة فشعر نحوه بالميل والعطف فى الحال ، بخلاف ما كان يشعر به نحو مبروكة .وسأله هل هو متأكد مما رآه أمام الباب ؟ . فأكّد له سمارة أنه رأى عقب سيجارة !

من يعلم ! ربما كانت مبروكة تدخّن سرًّا وتخفى ذلك عن جدّه ! ولكن لا . . . إنه لا يعتقد ذلك ! لا بدّ أن يكون هناك تفسير آخر !

كانت غرفة عارف متسعة ، بها سرير ، ودولاب قديم ، ومائدة عليها مصباح وشمعة وعلبة كبريت ، وطشت وإبريق مملوء بالماء لغسيل الوجه ، ونافذة تطل على حوش المنزل .

أطل عارف من النافذة . . هذا هو البحر يلوح أمامه من بعيد بزرقته ، وعلى يمينه تبدو « صخرة عمران » وكأنها شبح رابض كبير غامض ! وقد هيئ له أنه شاهد شبح غربان

سوداء تحوم حول الصخرة ، ولكنه لم يتمكن من عدّها ، وهل هى ثمانية كما ذكر جدّه ، أو أكثر أو أقلّ ؟ ربما كانت تزيد أو تنقص .. إنه غير متأكد .. فقد ابتدأ الظلام يقترب .

أضاء المصباح والشمعة فسطع النور ، فرأى القط مرجان وهو يتمدّد على السرير . قفز القط فجأة وتسلّل إلى باب صغير مقفل ، وأخذ يموء ! .

وكانت من عادة عارف أن يتحدث مع مرجان ، وكان مرجان يفهمه جيّداً ، ويناغيه ويلاغيه ، وكأنه يستجيب إلى حديثه !

قال عارف لمرجان : ماذا اكتشفت يا مرجان ؟ فئران ؟ .
فأخذ مرجان يخربش فى الباب بمخالبه وكأنه يقول لعارف : افتح هذا الباب من فضلك !

لم يكن هذا الباب الصغير مقفلاً بالمفتاح ، ولكن عارف وجد صعوبة كبيرة فى فتحه ، إذ كان يبدو أنه لم يفتح منذ عشرات السنين !

وجد عارف أمامه فراغاً يشبه غرفة صغيرة جداً ، كما رأى ضوءاً ينبعث من تحت عقب باب فى حائطه مقابل !

وكانت مفاجأة سارة عندما فتح هذا الباب فجأة ، وأطلّت منه رأس عالية !

صاح الاثنان : والآن يمكننا أن نتزاور ، ولا حاجة لنا باستعمال الطرقة الخارجية . . . بعيداً عن أعين مبروكة !

كانت غرفة ضيّقة تشبه الدولاب الكبير ، وأرضيتها خشبية ، بخلاف باقى الحجرات فأرضيّاتها بلاطية ، ربما كانت تستعمل لحفظ الملابس فى قديم الزمان . أو من يعلم ؟ ربما كان لها استعمال آخر ! .

• • •

ثرثرة قبل النوم

عالية

همست عالية فى أذن أخيها وكانا يهبطان السلم الضيق المظلم : ما رأيك فى مبروكة ؟ إنها كاذبة ! لقد رأيت بنفسى عقب السيجارة وكانت ذات طرف مذهّب !

فأجابها عارف : وهذا يعنى أن سمارة كان صادقاً ! . .

دخلا حجرة الطعام ، وجلست عالية على يمين جدّها عمران ، وعارف على يساره ، وكان الثلاثة يتبادلون الحديث أثناء الطعام ، ويصمتون كلما دخلت عليهم مبروكة !

وكانت مبروكة تدخل الحجرة فجأة بسبب وبدون سبب ، وبدون استئذان ، مما دعاهما إلى الشك فى تصرّفاتها ، وأنها تتجسس وتتصنت إلى الحديث ! ولذلك ما إن فرغوا من العشاء حتى اصطحبهما عمران إلى حجرة المكتبة وأغلق بابها !

كان عارف وعالية ينظران إلى الأرفف العديدة ، ويتطلعان بإعجاب إلى آلاف الكتب القديمة المصفوفة عليها باعتناء زائد ، ونظام جميل .

وكانا يتعجبان ، هل قرأ جدّها كل هذا العدد الضخم من المجلدات ؟ ولم لا ؟ إنه رجل عجوز ووحيد ، ومثقف . ولديه متسع من الوقت للقراءة .

جلسوا صامتين إلى أن بدأ الجدّ الحديث وهو يبتسم : والآن يمكننا أن نتكلم بحرية ! فأجابه عارف ! نعم . وقد آن الأوان لأن تبَر لنا بوعدك ! . فابتسم عمران وهو يتصنّع الدهشة : وعد ! . . أىّ وعد . . فقالت عالية باهتمام : اللغز الغامض الصغير ! ألم تعدنا بأن نساعدك على حلّه ؟ . .

صمت عمران لفترة قصيرة ، كان عارف وعالية يفكّران خلالها : هل ترى هناك علاقة بين هذا اللغز المبهم . . وبين أعقاب السجائر المذهبة ؟ أو بالحجرة الصغيرة التى اكتشفاها ؟ أو بمبروكة الغامضة ؟ أو بالغربان السوداء وصخرة عمران ؟ أو بأى شىء جديد آخر قد ينجلى فيما بعد ؟ . .

وأخيراً خرج عمران عن صمته وقال : كانت مبروكة ضمن أسباب سفرى إلى القاهرة ، بجانب شوق إلى رؤيتكم طبعاً ! فقد أردت أن أتخلص من عشرتها المملّة الثقيلة بعض الوقت . ولما أخبرتها بعزمى على السفر وجدت منها ترحيباً كبيراً ! ! . .

فسألته عالية وهى تتعجب : ولماذا هى ترحّب بغيابك ؟

فأجابها عمران : هناك سبب واحد . . هو رغبتها فى إبعادى عن المنزل ! . . وهذا موضوع سيأتى الكلام عنه فيما بعد !. .

ثم أضاف قائلا : إن مبروكة كانت لا تتوقع رجوعى من القاهرة بهذه السرعة ، ولذلك فهى لم ترحّب بوصولى المفاجئ ، خاصة أننى كنت أصطحبكما معى ! . . وهو ما لم تكن تنتظره ! . .

فقالت له **عالية** : وإذا كانت هى كذلك غريبة الأطوار ، وأنت لا تطيقها ، فلماذا لا تستبدلها بغيرها ؟ . .

فأجابها عمران : لقد تعوّدت على أفعالها فأصبحت لا أهتم بها ، وإنى أتحملها على مضض ، فليس من السهل العثور فى هذه الناحية النائية على مثلها . فهى تقوم على شئون المنزل بأكمله من طهى ومسح وكنس . ولا تنسى أيضاً أننى كهل فى الثمانين

يصعب تلبية طلباته . . . وإرضاء نزواته ! ! . .

قال **عارف** فجأة : ولكن ما علاقة كل هذا باللغز الغامض ! . .

وهنا نهض عمران من مقعده بصعوبة ، لأنه كان يشكو من الروماتيزم فى ساقيه ، واتجه نحو رفّ معين يتوسط المكتبة ونظر إليه متفحصا ! . . ولكنه ما كاد يصل إلى الرف ويمد يده ليتناول كتاباً ، حتى انفتح باب المكتبة فجأة ، ودخلت مبروكة على غير انتظار ! ! . .

قالت مبروكة وهى تنظر إلى عمران : ألا تظن ياسى عمران أن الوقت متأخر عليهما وحان ميعاد النوم ! ! . وخاصة بعد رحلة اليوم الشاقة الطويلة من القاهرة ! . .

• • •

صعد عارف وعالية السلّم الضيّق المظلم وهما يكادان ينفجران من الغيظ والغضب . . . ومبروكة تتبعهما ككلب الحراسة الأمين !

يا لحظهما العاثر ! . . كانا على وشك معرفة اللغز من جدّهما ، لولا دخول مبروكة المفاجئ الذى أفسد كل شىء . هذه اللعينة مبروكة . . إنها تظهر دائماً فى غير

الوقت المناسب ! . .

دخل كل منهما إلى غرفته ، وأقفل بابه من الداخل بالمفتاح !

حاولت مبروكة أن تفتح باب عارف ، ولكنها وجدته مغلقاً . وعندئذ سمع صوتها الرفيع وهى تقول : لا تقفل الباب بالمفتاح . . إذ ما العمل لو شب حريق ! والفطور الساعة التاسعة صباحاً ! . .

رأى عارف أن يتحدث إلى عالية ، ففتح باب الغرفة الصغيرة المسروقة لينادى عليها ، ولكنه كاد يصطدم بها ، إذ خطر لها نفس الشيء ، وكأنهما كانا على موعد ! . .

دعا عارف أخته لدخول غرفته ، بعد أن كان قد استعد لمفاجآت مبروكة . . وأقفل الباب ! دخلت عالية غرفته وجلست على السرير ثم قالت له : كان جدّو على وشك أن يبوح لنا باللغز ! فأجابها : هذا صحيح . . ولكن هل لاحظت شيئاً ؟ . فقالت : نعم . . عند ما قام جدّو وسار حتى وصل إلى المكتبة ، ثم توقف فجأة عندما ظهرت الشيطانة مبروكة !

وبعد تفكير قصير قال لها : هل تظنين أن لهذه المكتبة

علاقة باللغز ؟ . فأجابته على الفور : هذا ليس ببعيد . . بل محتمل جداً ! . .

كانت عالية تتمدد على السرير ، فى حين جلس عارف القرفصاء على البساط ، ومكثا هكذا ينظران إلى بعضهما فى سكون الليل !

وعلى حين فجأة قفزت عالية وهى تهتف : إنى أسمع صوتاً غريباً ! فهمس لها عارف وهو يطمئنها : الأصوات الغريبة كثيرة هنا ! ربما كانت أصوات أمواج البحر . . أو رياح الصحراء . . أو غربان تعشّش فى سقف الحجرة .

قالت عالية بعد أن هدأت : لو كان عامر معنا الآن لَهوّن علينا الأمر . . ولاشترك معنا فى إجلاء هـذه الخفايا . ما رأيك فى أن نكتب له خطابا ؟ . . فبرقت عينا عارف وقال موافقاً : هذه فكرة جميلة ، وسنشترك معاً فى كتابته ونقص عليه كل شىء !

٠ ٠ ٠

سطر عارف وعالية خطابا لأخيهما عامر ذكرا له فيه ما صادفاه بالتفصيل منذ مغادرتهما القاهرة حتى هذه اللحظة . ووصفا له فيه المنزل العتيق الذى يشبه القلعة ، وخاصة المكتبة

الفريدة ، وعثورهما على الغرفة المسحورة .

وتحدثا عن مبروكة وغرابة أطوارها ، وسمارة المسكين اللطيف الوديع . وعن اكتشافهما لعقب السيجارة المذهب ، وريبتهما فى مصدرها .. مع أن مَنْ فى المنزل لا يدخنون وهو الأمر الذى يدعو إلى شكهما فى وجود زائرٍ غريب فى المنزل بدون علم جدّهما !

كما ذكرا له ما حدث فى المكتبة مع جدهما ، وفى ترجيحهما أن لرفّ الكتب علاقة مباشرة باللغز . وكذلك خرافة الغربان الثمانية السوداء التى تحوم حول صخرة عمران ، واعتقادهما بأن فى الأمر سراً يخفيه عنهما جدّهما !

وأخيراً طلبا منه أن يشترك معهما فى التفكير فى حل هذه الألغاز ، إلى حين وصوله إلى مطروح ، وقالا له إنه إذا توصّل إلى حلّها فى هذه الأيام القلائل ، كان بلا شك أذكى منهما ، لأنهما لم يتمكنا من حلّها حتى الآن ! ! ..

• • •

الكهف

سمارة

استيقظ عارف مبكراً ، وصبّ قليلا من الماء فى الطشت ، وغسل وجهه وارتدى ملابسه ، ثم دخل غرفة عالية ليوقظها عن طريق الغرفة الصغيرة المسروقة .

ولكنه أصيب بخيبة أمل عندما وجد أنها استيقظت قبله وارتدت ملابسها ، وأن لها مدة وهى فى انتظاره ، وكان يعتقد أنه أنشط منها .

أخبرته عالية أنها شاهدت من نافذتها مبنى قديماً ، يشبه الإسطبل أو الزريبة ، وأنها تريد أن تستكشفه ! .

فقال لها : بل نذهب الآن إلى البحر لنتريض قليلاً .

تسللا من الغرفة على أطراف أصابعهما ، فقد سمعا صوت مبروكة صادراً فى بئر السلم ، ولئلا يزعجا جدّهما فى هذا الوقت المبكر .

قالت عالية : فلنذهب إلى الجانب الآخر من الطـرقة ، لعلنا نجد مخرجاً بعيداً عن غرف النوم .

سارا فى الطرقة إلى أن وجدا فى نهايتها سلماً ضيقاً جداً هبطا منه ، فإذا بهما فى المطبخ ، ثم خرجا منه إلى حوش واسع ، وهناك صادفا سمارة وكان يسير نحوهما .

حياهما سمارة تحية الصباح ، فردّا له التحية ، وسألاه عن طريق البحر . فقال لهما سمارة : أنتما ذاهبان إلى البحر الآن ! ! . فأجابه عارف : نعم . فاليوم حار ، ونريد أن نرجع قبل ميعاد الإفطار فى الساعة التاسعة . فدلّه سمارة وهو يشير إلى الطريق : من هنا إلى اليسار . . وهناك طريق آخر يتفرّع إلى اليمين . . إيّاك أن تسير فيه ! . . احذر فهو يوصّل إلى الصخرة ! صخرة عمران ! لا تقترب منها ! . .

كانت عالية تستمع إلى الحديث وهى تعجب فى نفسها ، هل هناك سرّ غامض يحيط بهذه الصخرة أيضاً ؟ أكان ينقصهما سر جديد ! ألا يكفيهما ما فى داخل المنزل من أسرار ! . .

كانت عالية ترمق سمارة وهو يختلس النظرات من وقت إلى آخر ناحية الحظيرة . ففاجأته بالسؤال : قل لى يا سمارة ،

ألا توجد حيوانات فى هذه الحظيرة ؟ . فأجابها : لا . . لا توجد . . إنها حظيرة مهجورة ! . . فقالت له : هل أنت متأكد ؟ حتى ولا حيوان واحد ! فأجابها بعد تردد شديد لا . . لا يوجد ! . .

ضحكت عالية وقالت له : حسناً يا سمارة . . ربما عاودت سؤالك فى فرصة أخرى ! على كل حال نحن أصدقاؤك ، ونؤيّدك فيما قلته بالأمس . صحيح أنه كان عقب سيجارة ، وليس ورقة كما ادّعت مبروكة ! لقد رأيته بنفسى وأنا متأكدة ! . .

تركاه وسارا فى طريقهما إلى شاطئ البحر ، وبعد قليل سمعا صوت سمارة وهو يصيح عليهما : احذرا الصخرة ! . . اتبعا الطريق الأيسر ! . .

أما سمارة فقد تلفّت يمنة و يسرة ، وعندما رأى نفسه وحيداً بلا رقيب ، استدار واتخذ طريقه نحو الحظيرة المهجورة ! ! . .

° ° °

وصل عارف وعالية إلى مفترق طريقين ، يتجه أحدهما يميناً ، والآخر يساراً . وهنا وقف الاثنان يفكّران . فسألته عالية : فيم تفكّر يا عارف ؟ فضحك عارف وأجابها :

صعدا السلم وهما يكادان ينفجران من الغيظ والغضب . . و « مبروكة » تتبعهما ككلب الحراسة الأمين

فى نفس الشيء الذى تفكرين فيه أنت ! ! . .

كان الاثنان يفكّران فى اتخاذ الطريق الأيمن ، ضاربين بتحذير سمارة عرض الحائط ! . . كانا يحلمان بالمغامرة ، غير آبهين بما قد يتعرضان له من خطر !

فالطريق الأيمن يؤدى إلى الصخرة ، وهما يتشوقان لرؤيتها ، يشدّهم إليها ما يحيط بها من أسرار وخرافات ! . ولكن عالية قالت : فلنؤجل هذه الزيارة إلى وقت آخر ، لأن جدّو لو علم بذلك ربما غضب منا . فأجابها عارف : لك حق . فلنذهب الآن إلى البحر ، ربما شاهدنا الصخور والكهوف التى حكى عنها جدّو ! .

وصلا إلى الشاطئ ، وكانت الشمس ساطعة والنسيم عليلاً والبحر هادئاً ، والسكون يخيم على المكان . فلا أحد هناك فى هذا الوقت المبكر من الصباح .

خلع عارف حذاءه وجرى نحو الماء ، وتبعته عالية ، وأخذا يلعبان فى الماء الضحل وسط الأمواج الخفيفة التى تتكسر على الشاطئ الرملى الجميل .

كانا يشعران بالسعادة والحرية ، والشاطئ يخلو من الناس ، وكأنه خاص بهما ، لهما وحدهما .

توقفت عالية عن الجرى ، وأشارت إلى شاطئ بعيد : انظر يا عارف ! ألا ترى شيئاً هناك ؟. فأجابها : أين ؟ آه . هذا شاطئ صخرى !. فقالت له عالية بلهجة العتاب : طبعاً أنا أعرف أنه شاطئ صخرى ! ولكن ألم تلاحظ شيئاً عجيبا ؟ فأجابها بالنفى . فقالت له : إن تعاريج هذا الشاطئ تشبه وجه إنسان ! ! .. ثم ضحكت وقالت : إنه يشبه وجه مبروكة تماماً بأنفها الطويل !. نظر عارف بدهشة إلى الشاطئ وقال : أين ؟ إنى لا أرى شيئاً !.

أشارت له بيدها نحو الشاطئ وقالت : هذا البروز داخل البحر هو أنف مبروكة الطويل . . . وهذا التجـويف المفتوح هو فمها الواسع .. وهذا المنحنى القريب هو ذقنها المدبّب ! .. فما رأيك ؟.

اندهش عارف من دقة ملاحظة أخته وقال لها : هذا صحيح يا عالية .. إنى أراه الآن واضحاً ! ..

وبعد صمت قصير قالت له : أهذا كل ما ترى ؟. فأجابها : وهل هناك غير ذلك ؟. فقالت له : ألا ترى هذا الكهف المفتوح هناك وسط التجويف ؟.. أى داخل فم مبروكة ! !

دقّق عارف بنظره ، إنه يرى فجوة واسعة . . هذا صحيح . . من الجائز جداً أن تكون كهفاً !

ذهبا معاً يستطلعان الفجوة ، فوجدا أنها مدخل كهف كبير يبدو أنه مهجور !

دخلا الكهف المظلم بحذر شديد ، وكان عارف قد استعد لمثل هذا الاحتمال فأحضر معه علبة الكبريت . أشعل منها عوداً فأضاء الكهف بنور خافت ، وتقدّما قليلاً قليلاً ، وبخطوات حذرة بطيئة . ولكنهما وقفا فجأة . فقد شاهدا فى ركن من أركان الكهف شيئاً لم يتبيّناه لأول وهلة ، وإذا اقتربا منه اندهشا مما رأياه ! فقد كان : بطانية ووسادة ، وفنجان شاى مكسور .. وبجانب الفنجان .. عقب سيجارة ! ! ..

صاحت عالية : انظر ! .. إنه عقب سيجارة ! .

فأجابها عارف وهو مأخوذ : وطرفها مذهّب ! ! ..

خرجا من الكهف مهرولين ، وهما يشعران بالخوف والرهبة ، وكأن عيوناً كثيرة تتبعهما ، وتحدق فيهما !

قرّرا أن يعودا فوراً إلى المنزل ، حيث كانت الساعة الثامنة والنصف ، وقبل ميعاد تناول طعام الإفطار .

قال عارف لأخته : أنا فى حيرة ! فكل ما يحيط بنا هنا غريب مريب . ولكن . . تُرى هل توجد علاقة بين كلّ هذه الأشياء وبين اللغز الغامض الذى يخفيه جدّو؟ . فأجابته عالية : لا أعلم .. ربما ! .. لابدّ أن نعرف منه هذا السر وبأسرع ما يمكن .. اليوم ! .

دخلا المنزل وذهبا رأساً إلى حجرة المائدة وجلسا ، وكانت الساعة التاسعة إلا خمس دقائق ! حينما جاءت مبروكة وسألتهما أين كانا ؟ . فأجاباها بأنهما كانا يتنزهان على شاطئ البحر . فقالت لهما : وهل أذن لكما جدّكما فى الذهاب إلى البحر بمفردكما ، إذ ربما غضب لذلك ! . فأجابتها عالية وهى تبتسم : لا ! . ولكننى متأكدة أن جدّو لا يمانع فى ذلك . وعلى كل حال فنحن أتينا هنا للنزهة لا للحبس فى المنزل ! ولكن أين هو جدّو الآن ؟ . فقالت مبروكة : إنه يشعر اليوم بالتعب من آثار رحلة الأمس الطويلة ، وإنه سوف يتناول إفطاره فى غرفته !

حزنا لذلك كثيراً . وما إن خرجت مبروكة من الغرفة حتى قالت عالية لأخيها : مسكين جدّو ! يجب أن نسأل عليه ونطمئن على صحته .

أخذ يقلب فى صفحات الكتاب حتى عثر على ما يبحث عنه وكان موضوعاً بين صفحتى ٧٥ ، ٧٦

كانت أمامهما الآن مشكلة صغيرة ! وهى كيف يمضيان هذا الصباح ؟ هل يذهبان إلى الصخرة ؟ إنها فكرة جميلة ، وإن كانت فيها بعض المخاطرة !

استقر رأيهما أن يمضيا فترة الصباح فى المكتبة ، ففيها الكثير من الكتب المفيدة المصورة التى تستحق المطالعة .

ولكن بعد خمس دقائق من جلوسهما وقعت مفاجأة سارة ! إذ دخل جدّهما عليهما فى المكتبة . فقفزا فرحين مهلّلين ، وتعلّقا به يسألانه عن صحته . فأجابهما بأن صحته فى تحسّن كبير ، وسألهما عمّا يرغبان فى عمله الآن ؟ ! . . فنظرا إلى بعضهما نظرة ذات معنى ، وبعد تردد قال عارف : أنت تعرف ماذا نريد يا جدّو ! . فأجابه الجدّ وهو يبتسم ويتصنع البراءة : ماذا ! أنا لا أعرف ! . . آه . . هل تقصد أن نكمل حديث الأمس ؟ . فاندفع عارف فى الكلام بسرعة زائدة : نعم . . نعم . . ألا تذكر ؟ . . عندما دخلت مبروكة فجأة ! كنت ستقول لنا عن اللغز الغامض ! . . . وقالت عالية وكأنها تستعجله فى الحديث : قل لنا على اللغز بسرعة ! وقبل أن تفاجئنا مبروكة ثانية ! .

كان الجدّ على وشك الكلام ، ولكن قبل أن ينطق

بحرف واحد ، فُتح الباب ودخلت مبروكة ! ! فصمت عمران ، وظهر الغضب واليأس على وجهيهما .

قالت مبروكة وهى توجه حديثها إليهما : جدّكما مريض ، ويحسن بكما ألاّ ترهقاه بالكلام الكثير !

وهنا ثار عمران عليها وصاح فيها : أنا لست مريضاً ، وهذا ليس شأنك ! وأنا سعيد بأحفادى معى هنا .

فوجئت مبروكة بثورة عمران ، فهى لم تتعود منه هذا الانفعال والشدة ، فقالت له : كما تريد . وماذا يمكننى الآن أن أفعله ؟ . فأجابها محتداً : إركبي الأوتوبيس إلى مطروح واشترى لى الصحف والمجلات ! . .

انزعجت مبروكة لأنها أدركت أن فى الأمر سرًّا ، وأن عمران يعمل على التخلّص منها . فقالت له إن لديها عملاً كثيراً فى المنزل ، ويمكنه أن يبعث سمارة بدلا منها ! فأجابها بأنه يحتاج إلى سمارة فى عمل آخر هام سيكلّفه به ! .

لم تيأس مبروكة ! بل نظرت إلى عارف وعالية وقالت لهما بابتسامة خبيثة : ما رأيكما فى أن نذهب معاً ، لتتفرجا معى على البلدة الجميلة ، وسنمر على مكتب البريد إذا كان معكما خطاب ترسلانه من هناك ! ! فاليوم جميل وحرام

أن تقضياه داخل أربعة جدران ! . .

فقال لها عمران بهدوء : بل سيمكثان معى . أنا جئت بهما من القاهرة ليمكثا معى وليس معك ! ! لقد تمتعا باليوم الجميل على شاطئ البحر فى الصباح الباكر قبل الإفطار كما قالا لى ، وهو أنسب وقت للتريّض !

لم تجد مبروكة بدّاً من الانسحاب من الغرفة وهى تشعر بخيبة شديدة . أما عارف وعالية فكانا يشعران بالراحة والسرور والغبطة .

ضحكت عالية وسألت جدّها : ما هو العمل الذى ستكلّف به سمارة ؟ وهل هو يخصّنا ؟ . فأجابها باسماً : نعم . هو كذلك ، ولكنى لن أخبركما به الآن فهو مفاجأة ، وستعرفانه فى وقته على كل حال .

أغلق عمران الباب بالمفتاح ، ثم نهض وتوجّه نحو الرفّ الذى وقف أمامه أمس . ومدّ يده وأخرج كتاباً صغيراً هو رواية جزيرة الكنز ، وكان مدسوساً وسط كتابين كبيرين ! ثم جلس إلى المائدة ، على حين وقف عارف عن يمينه ، وعالية عن يساره . ثم أخذ يقلّب فى صفحات الكتاب حتى عثر على ما يبحث عنه ، وكان موضوعاً بين صفحتى ٧٥ ، ٧٦

من الكتاب .

وضع هذا الشيء أمامه على المائدة ، وكان ورقة مطوية تبدو قديمة جداً اصفرّ لونها بمرور الزمن !

وكان ما رأياه هو خريطة رسمت عليها بعض الخطوط والتعاريج والحروف والكلمات .

الخريطة العجيبة

مبروكة

بعد أن فضّ عمران الورقة المطويّة ، تمهّل قليلا وقال لهما : أولاً سأقص عليكما كيف اكتشفت هذه الورقة . كان ذلك بمحض الصدفة ، وكان يحتمل ألاّ أعثر عليها أبداً ! .. ثم رفع الورقة بين يديه ، وتسمّـرت عينا عارف وعالية بهـا ، لا يرخيان عنهـا البصر .

استطرد فى الحديث وهو يشير إلى المكتبة وآلاف الكتب تتراص عليها : كان العثور على هذه الورقة الصغيرة هنا كالعثور على دبّوس وسط كومة من القشّ . فسألته عاليه وهى مندهشة : إذن كيف عثرت عليها ؟ .

قام عمران واتجه نحو الرفّ ، وأشار إلى مكان معيّن وقال : لفت نظرى أن كتاب جزيرة الكنز مدسوس هنا بين

الجزء الأول والجزء الثانى من هذين المجلدين الضخمين . وأنا لا أذكر أنى رأيته من قبل ! ولم أضعه فى هذا المكان ! فقاطعه عارف : ومن وضعه إذن ؟ . فأجابه : هذا سؤال مهم ! . وقالت عالية : لابدّ أن أحداً غيرك وضعه ! فقال عمران : هذا واضح .. ولكن من ؟؟ .. أنا لا أعتقد أن لمبروكة أو سمارة يداً فى ذلك ! . فسألته عالية : وهل سألتهما ؟ . فأجابها : لا طبعاً ! وهل كنت تسألينهما أنت لو كنتِ فى مكانى ؟ . فأجابته فوراً : لا .. لأنهما لو كانا يعلمان بوجوده فلا داعى للسؤال ، وإذا كانا يجهلان فلا داعى للفت نظرهما .

عندما فضّ عمران الورقة المطوية ووضعها على المائدة ، كانت عيون عارف وعالية تحدق فيها باهتمام زائد ، ويتعجبان لما خطّ عليها بالقلم الرصاص !

كان عمران ينظر إلى الخريطة وهو صامت . إلى أن ابتسم وقال : ما رأيكما فى هذه الخريطة ؟ فبرقت عينا عارف وقال : إنى أعتقد أنها ناقصة ، ومع ذلك فهى محيّرة ومشوّقة ! . وأضافت عالية : إنى أرى أن الخريطة ترشد إلى مكان ما ! فقال عمران : ولكنها غير واضحة

صحيح هى ترشدنا إلى مكان ما ! ولكن إلى أين ؟ . . ولماذا ؟ ؟ . .

كانت عالية تتفحص الخريطة بدقة ، وسألت جدّها : وما معنى حرف (خ) المكتوب فى نهاية الطريق الثالث على اليسار ؟ . فأجابها عمران بلهجة الشكّ : ربما كانت تعنى « خطر » ، أى أنها تحذّر من سلوك هذا الطريق ! ولكن عالية قالت : وربما كانت تعنى « خندق » أو « خزانة » ، ولكن المهم ماذا تعنى الكلمات الأخرى ، إنها غير مفهومة ! ! .

قال عمران : هذا هو بيت القصيد . . تلاحظان أولاً أن الكلمات مكتوبة بالقلم الرصاص ، وثانياً أن كاتبها حاول مسحها ، ولكنه لسبب خارج عن إرادته لم يتمكّن من مسحها كلها ، فبقيت ظاهرة منها جملة (انظر إلى) ، ولا يمكننا الآن أن نعرف لماذا هو اضطر إلى ذلك ، ولكن ربما لأن شخصاً ما فاجأه فى أثناء كتابتها . .

وهنا قاطعته عالية قائلة : هذا جائز . وعندئذ اضطر إلى إخفائها فى كتاب كان فى جيبه وهو جزيرة الكنز ، ووضع الكتاب فى أقرب مكان وبسرعة زائدة ! . فقال لها عمران : كل هذا جائز ! ولكن ألم تلاحظا الأثر الغائر الذى حفره القلم

الرصاص الجاف فى الخريطة ! ! . .

أوقد عمران المصباح ، ورفع الخريطة بين أصابعه ، ووضعها أمام النور ، فظهرت بعض الآثار الغائرة واضحة جليّة ، وظهر البعض الآخر غير واضح لا يقرأ ! ! . .

قال لهما عمران بعد أن طوى الخريطة : والآن هل يمكننا حل رموزها ؟ هذه هى مهمتكما ! فقال له عارف وهو غير مصدق : أتعنى أنه يمكننا أن ندرس الخريطة وأن نحتفظ بها ؟ . فهز عمران رأسه علامة «الإيجاب . فصاحت عالية من الفرح قائلة : سنحافظ عليها محافظتنا على أرواحنا ! ثم أضافت فى خبث : وبعيداً عن أعين مبروكة وفضولها ! !

توجّه عمران إلى الرفّ وأخرج كتاب « جزيرة الكنز » ، ووضع الخريطة فى مكانها كما كانت . . بين صفحتى ٧٥ و ٧٦ . وقال لهما : أنتما تعرفان الآن مكانها ، ولكن انتهزا دائماً فرصة غياب مبروكة لدراستها !

ظل عارف وعالية يختلسان النظرات مع بعضهما ، إلى أن قالت عالية لجدها : ونحن أيضاً لدينا بعض الألغاز والأسرار لا نريد أن نحتفظ بها وحدنا ! ! فقال لهما عمران : صحيح ! هاتِ ما عندك ! . .

بدأت عالية فى روايتها فقالت : نحن نشعر بأنه يوجد شخص غريب فى المنزل ! . فاندهش عمران من ذلك الخبر المفاجئ وسألها : شخص غريب ! ومن يكون ؟ وما هو الدليل على وجوده ؟ . فاستطردت عالية قائلة : لقد اكتشفنا عقب سيجارة فى المنزل ! .

أخذ عمران يفكّر بصوت عالٍ وهو يحدث نفسه : هذا غريب ! فلا أحد يدخّن هنا ! . ثم وجّه حديثه إليهما قائلا : ولكن هذا ليس بدليل على وجود شخص غريب بالمنزل فى هذه اللحظة ! ثم صمت قليلا وقال : ربما كان يوجد شخص منذ أيام مضت ! الآن فقط فهمت ! لا غرابة فى أن مبروكة كانت ترحّب بسفرى إلى القاهرة ، كما أزعجها قدومى المفاجئ ! ربما هى قد أدخلت زائراً غريباً فى أثناء غيابى ! وهى تعلم أنى أعارض فى ذلك ! . . هل هذا هو كل ما عندكما من أسرار ؟ فقال عارف : تقول عالية أنها تسمع أصواتاً غريبة فى سقف الحجرة ، وفى كل مكان بالمنزل ؟

فضحك عمران طويلاً وقال لهما : وأنا أيضاً أسمع هذه الأصوات ! فالمنزل قديم متهالك . ثم صمت قليلاً وظهرت

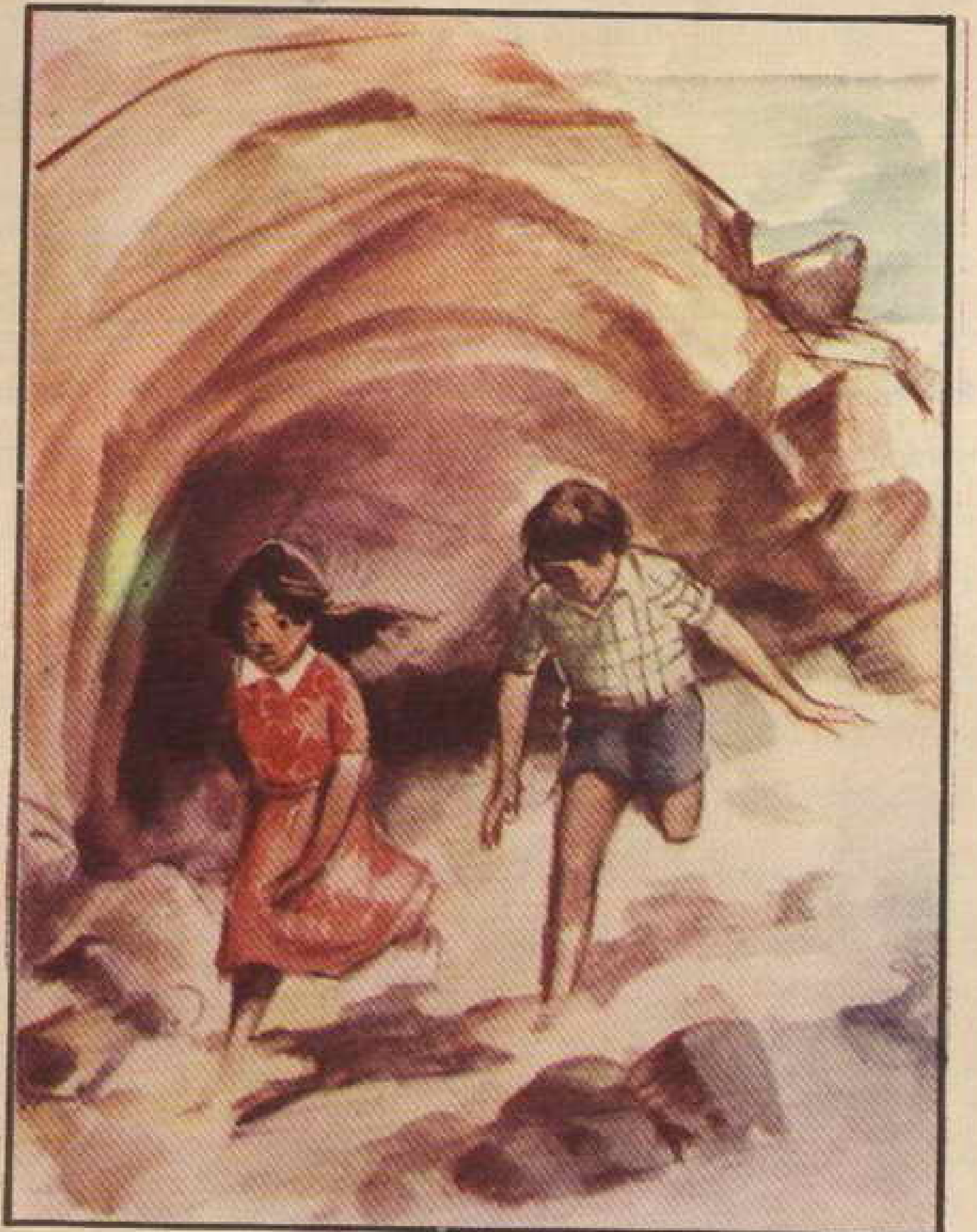

خرجا من الكهف مهرولين ، وهما يشعران بالخوف والرهبة ، وكأن عيوناً كثيرة تتبعهما .

على وجهه إمارات الحزن والأسى ، وقال وهو يتنهد : المنزل العجوز . . كالرجل العجوز ! كلّه شروخ . . وتأوهات ! ! .

ثم سألته عالية فجأة : هل هناك حيوانات بالمنزل يا جدّو ؟ فأجابها : القط مرجان فقط ! والببغاء زاهية ! . فقالت له : أقصد فى الحظيرة ! . فأجابها : لا ، فالحظيرة مهجورة منذ زمن طويل . . ولمَ تسألين ؟ فقالت له : رأيت فى الصباح - وكنت أطلّ من نافذتى - سمارة وهو يدخل الحظيرة ، ثم يخرج منها بعد فترة ، ولما سألته ارتبك وقال بعد تردّد : لا لاتوجد حيوانات ! . . فأجابها عمران وهو يهز أكتافه بلا اكتراث : لا أعتقد أن سمارة كذّاب ! وعلى كل حال إذا كانت هناك حيوانات بالمنزل فيسهل علينا العثور عليها . . هل هذه هى كل الأسرار ! . .

صمتا ولم يجيبا . هل يخبران جدّهما بقصة الكهف ؟ ربما اعتقد أن فى قصتهما مبالغة كبيرة ! ولكن سوف يؤيد كلامهما أن الكهف موجود ، والبطانية والوسادة والفنجان المكسور لا تزال فى مكانها . . . وكذلك عقب السيجارة المذهّب ! ! إن لم يصدقهما فما عليه إلاّ زيارة الكهف !

خيّل إليهما أن عمران لم يهتم بهذا الكشف عندما فاتحاه به ، فقد قال لهما : وما الغرابة فى ذلك ! أنا نفسى كنت أنام فى هذه الكهوف فى شبابى ، لكى أصحو مبكراً فى الفجر لصيد السمك ! والكثيرون هنا ، وخاصة الصيادين ، يبيتون فى هذه الكهوف ! . .

تدخّلت عالية فى الحديث وقالت : ولكن هذا الكهف يختلف عن باقى الكهوف ، لأن له علاقة مباشرة بسرنا ! فقد عثرنا فيه على عقب سيجارة مذهّب ! ! فأجابها عمران بلا مبالاة : كثير من الناس يدخنون مثل هذه السجائر ! ولكن هل صادفكما أحد داخل الكهف ؟ . فأجابته عالية بسرعة : لا . لأننا لم نكتشف باقى الكهف . ولم نتعمق فى داخله ، وخرجنا بسرعة فقد كنا خائفين ، وخصوصاً أنا عندما رأيت وطواطاً كبيراً يلتصق بالسقف . ولكنى لم أخبر به عارف لكى لا يخاف مثلى ! ! . .

قال عمران : على كل حال سنضع فى حسابنا مسألة الكهف ، وعُقب السيجارة المذهّب ، وإن كنت أشك فى أنهما سيساعدانا فى الكشف عن اللغز ! هل هناك شىء آخر ؟ . .

قالت عالية : نعم هناك أشياء صغيرة ! مثلاً : تصرفات

مبروكة الغريبة ، وهل هى كانت دائماً كذلك ؟ . . وسمارة ! نحن نعتقد أنه يحاول مساعدتنا ولكنه يتفادانا . . ربما خوفاً من مبروكة ! ! . .

فأجابها عمران : تصرّفات مبروكة كانت دائماً شاذة من يوم أن التحقت بخدمتى ، ولكنى تعودت عليها ! أما سمارة فهو ولد يتيم ، ومخلص ، وأمين .

وعندما انتهى بهم الحديث عند هذا الحدّ ، وقف عمران وقال لهما إنه فى حاجة إلى الراحة . وإنه يحسن بهما تأجيل فكّ رموز الخريطة والكلمات الناقصة الممسوحة بها ، لأن مبروكة أوشكت أن تصل بالجرائد فى أية لحظة . وأن يخرجا للنزهة والتريض ، فالجو جميل يغرى على ذلك .

ثم حذّرهما من صخور الشاطئ قائلا : تفاديا الصخور ، وخصوصاً صخرة عمران . . فهى خطرة ! . .

° ° °

الغربان السود الثمانية

عارف

غادر عارف وعالية المنزل بنية الذهاب إلى البحر . ولكن قبل أن يجتازا سور المنزل ، اقترحت عليه عالية مشاهدة الحظيرة المهجورة !

كان عارف يحلم بالسباحة فى البحر لا بالحظيرة ! . . وبالأصداف والقواقع الملوّنة الجميلة التى سيلتقطها من الشاطئ . ولكنه لم يشأ أن يخالف أخته ، فوافق على اقتراحها وهو يتأفّف .

قالت له عالية : والآن سنتأكد إذا كان هناك حيوان أولا ! . .

اقتربا من الحظيرة ، وكانت عبارة عند مبنى قديم متداع . وما كادا يصلان بابها حتى سمعا مأماة رفيعة ، وصوت سمارة وهو يتحدث بصوت خافت ، وكأنه يحدث إنساناً : اسكتى

ياظريفة لئلاّ تسمعك العفريتة ! !

وقفا ساكنين بلا حراك من المباغتة وأخيراً ! ! لقد عثرت عالية على ضالتها المنشودة : الحيوان الذى كانت تعتقد بوجوده فى المنزل !

قال عارف : وماذا تظنّين ؟ أهو عجل ! . فأجابته : لا أظنه عجلاً ! فالعجل لا يمأمئ ! ربما كانت معزة أو خروفاً مريضاً ، لأن المأماة ضعيفة !

ثم جاءهم صوت سمارة ثانية وهو يقول : اعملى معروف يا ظريفة ! اسكتى واشربى اللبن ! وإلاّ سأشربه أنا . . كده عال ! ! . .

كانت عالية تتحرّق إلى رؤية ظريفة هذه . ولكن ربما كان سمارة لا يرحّب بذلك ، ويريد أن يحتفظ بسرّه لنفسه ! لا بأس . . فلندع ذلك إلى فرصة أخرى .

واصل سمارة حديثه مع ظريفة فقال : والآن سأطلعك يا ظريفة على سرّ ، وإياك أن تفشيه لأحد ! . .

كان الإغراء شديداً يلحّ عليهما فى الاستماع إلى هذا السرّ ، إذ ربما كان يتعلق باللغز . . أو بمبروكة ! ولكن كان بين عارف وعالية « ميثاق شرف » . . وهو ألاّ يتصنّتا

على أسرار الغير !

ولذلك صمّما على الانصراف ، وتركا سمارة يبوح بسرّه إلى ظريفة !

ابتعدا عن الحظيرة وهما يتعجبان لأمر سمارة وصديقته ظريفة . .

سأل عارف أخته : من يقصد سمارة بالعفـريتة يا ترى ؟ . .

فأجابته : أظنه يقصد مبروكة ! والآن فلنرجع إلى المنزل لدراسة الخريطة . .

وبينما هما فى طريقهما إلى المنزل يتحدثان وهما يتهاديان ، إذا برجل غريب يقبل نحوهما !

كان الرجل يبدو قوياً ، له شارب مفتول ، وفوق حاجبه جرح كبير غائر !

حيّاهما بصوت أجشّ وقال : من أنتما . . ومن أين تأتيان ؟

تبادلا النظرات فى دهشة بالغة ! يا له من رجل سخيف !

قال له عارف : نحن اللذان نسألك من أنت ؟ ومن أين أتيت ؟ فأجابه الرجل بخشونة : اسمى سلطان وأنا غريب

جئت من طنطا . ومن هو صاحب هذا المنزل ؟ . فأجابه عارف ! عمران . . نايف عمران ، وهو جدّنا . فقال سلطان : حضرت خصيصاً لمقابلة جدّكما !

كانا ينظران إليه بعين الشكّ ، فهما لم يشعرا نحوه بالإطمئنان . فقد كانت القسوة تلوح فى عينيه الضيّقتين . فقالت له عالية فى تحدٍّ : لا يمكنك أن تقابل جدّنا اليوم فهو مريض . وقال له عارف : وماذا تريد منه ؟ . فأجابه سلطان : إنى أقصده فى عمل مهمّ ! أريد شراء هذا المنزل . . هل أنتما ذاهبان الآن إلى هناك .

وقبل أن ينطق عارف قالت له عالية : لا . بل سنذهب إلى الصخرة ! . فاندهش عارف من قولها هذا . فما الذى جعلها تعدل عن رأيها ؟ لقد كانت تريد من لحظة أن ترجع إلى المنزل لتفحص الخريطة !

نظر إليهما سلطان نظرة غريبة وقال : الصخرة ! ! آه . . ولم لا ؟ فاليوم جميل . . ولكن حاذرا أن . . .

قال هذا وصمت طويلاً ، ثم تابع حديثه وقال : أتمنى لكما يوماً سعيداً ، وأرجو أن أراكما قريباً .

استدار سلطان واتجه نحو المنزل ، وكانا يرقبانه مراقبة

دقيقة إلى أن اختفى . وعندئذ نظر عارف إلى أخته وقال لها : لماذا عدلت عن رأيك ؟ فأجابته : كنت أظنك تريد أن تزور الصخرة ! ! .

رمقها عارف بنظرة عتاب وقال : بالعكس كان يهمنا أن نرافقه إلى المنزل لنرى ماذا سيفعل ! . فابتسمت عالية فى دهاء وقالت . إنى أشكّ فى هذا الرجل ، ويجدر بنا أن نبتعد عنه ، وأنا متأكدة أن جدّو لن يقابله ، وأعتقد أننا سنضيفه إلى قائمة بحثنا ! فأجابها عارف : ألا يكفينا ما جمعناه من ألغاز حتى نضيف إليها لغزاً جديداً !

كانت عالية تفكّر وهى فى طريقها إلى الصخرة فيما قاله سلطان . لقد قال عندما سمع منها عن الصخرة : الصخرة ! ! ولكن حاذرا أن . . . ، ثم توقّف عن الكلام ! فإذا كان هذا الرجل غريباً حقّاً عن هذه المنطقة ، فكيف علم بما يدور حول الصخرة ؟ ؟ . . وماذا كان يريد أن يحذّرهما منه ؟ ؟ إنها تشكّ كثيراً فى أنه ليس غريباً ، بل هو يعرف الكثير من الأسرار والمعلومات عن هذا المكان ! ولماذا يريد مثل هذا الشخص أن يبتاع منزلاً قديماً كالقلعة ، وفى هذه الناحية الصحراوية بالذات . . وهو الغريب من طنطا ! ! !

وأخيراً أبدت عالية رأيها بصراحة وقالت لعارف ! أظن أن سلطاناً كان يريد أن يقول : احذرا أن تتسلقا الصخرة ! فكيف عرف أو سمع بالخرافات التى تدور حولها ؟

كان الطريق إلى الصخرة جميلا ، يصعد ويهبط ويتعرّج ، تنبت الحشائش الخضراء على جانبيه ، وبعض النخيل العالى وهو يحمل سباطات البلح الأصفر ، وبعض الإبل وهى ترعى الكلأ .

وصلا إلى أعلى مكان من صخرة عمران ، ووقفا قرب حافّتها يطلان على البحر ، والشاطئ الصخرى من تحتهما تضرب فيه الأمواج .

وقفا مشدوهين أمام المنظر الرائع الخلاّب ، إلى أن شرعت عالية فى العدّ : واحـد . . اثنين . . ثلاثة . . أربعة . . .

فسألها عارف قبل أن تتم عدّها : ماذا تعدّين يا عالية ؟ فصاحت عالية : انظر ! ! انظر ! ! إنهـا تطير فوق رؤوسنا ! . .

رفع عارف نظره إلى السماء ، فرأى الغربان السوداء وهى تحوم فوقهما !

إنهما ما زالا يتذكّران خرافة الصخرة ! الغربان السود الثمانية ! على كل حال ما هى إلاّ خرافة ! صحيح أن والدهما كان يتضايق إذا مرّ تحت سلم خشبي ! أو يتشاءم إذا سكب ملحاً على المائدة ، فكان يقذف قليلاً منه وراء ظهره ! . . . ولكنها خرافات هما لا يصدقانها ، ولا يؤمنان بها ! . .

قال عارف : ولكنى لا أرى إلاّ سبعة غربان فقط ! . فأجابته : بل أنا متأكدة أنى عددت ثمانية . فقال لها : وأين الثامن ؟ ! . .

وعلى حين فجأة ظهر الغراب الثامن وقد انفصل عن السرب ، وطار فى سرعة رهيبة كالطائرة النفاثة ، وهو يكاد يمسّ رأسيهما ، وكأنه يريد أن يحذرهما من شيء مجهول !

كانا يشعران بالرهبة عندما سمعا صوتاً يصيح عليهما من بعيد : ابتعدا ! . . لا تقتربا ! . .

وكان مصدر الصوت صيّاداً عجوزاً أبيض الشعر ، يحمل شبكته على كتفيه . اقترب منهما وقال لهما محذّراً : ألا تريا الغربان ؟ إنهم ثمانية ! فقال له عارف ، وكأنه يتجاهل ما سمعه عن الخرافة : وما أهمية ذلك ؟ . فردّ عليه الصيّاد العجوز قائلاً : إذا كنت تعيش هنا كنت لا تسأل

مثل هذا السؤال ! فقالت له عالية : ولكن أحد الغربان انفصل عن إخوته ، وطار فوق رؤوسنا يكاد يمسّها ! !

فظهرت علامات الارتياح على وجه الصياد العجوز ، وقال لهما : أنتما محظوظان ! . لقد أراد هذا الغراب أن يحذركما ، وهذا يحدث نادراً ، فالآن فقط لن يصيبكما أذى ، أو يلحق بكما ضرر !

تبادل عارف وعالية النظرات فيما بينهما . ألا يمكن أن يستشفا من هذا الصياد العجوز ما كان يخفيه جدّهما عنهما بخصوص صخرة عمران ؟ ؟

وجهت عالية حديثها إلى الصياد العجوز وهى تستدرجه : لا أظنك تصدّق هذه الخرافات . فأجابها : إنها حقيقة وليست خرافة . . وأنا أصدّقها ! وقال له عارف : ونحن أيضاً يمكن أن نصدّقها ، لو قصصت علينا حدثاً وقع ، بعد أن طارت الغربان الثمانية فوق الصخرة !

تردّد الصياد العجوز فى الكلام ، ثم قال : كاد رجلان يغرقان هنا ، وفقَد ابن عمى ثلاثة جمال ، وأنا كذلك كنت أصيد هنا ، فوقعت فى شبكتى سمكة ضخمة ، ظننتها حوتاً ، كادت تجرّنى معها إلى عرض البحر ، فكدت أجنّ بها من

الفرح ، ولكنها قطعت الشبكة وفلتت منى . كل ذلك بعد أن طارت فوق رؤوسنا ثمانية غربان سوداء . ومنذ ستة شهور تقريباً عندما . . . .

وهنا توقّف الصياد العجوز عن الكلام ، وخفض من صوته وهمس قائلا : عندما وقع شخص من فوق الصخرة ، وفَقَد حياته ! ! ولو أن الإشاعات تروج بأنه لم يسقط قضاء وقدراً ! بل دفعه شخص من فوق الصخرة ! !

فقاطعه عارف : ومن هو هذا الشخص ؟ أهو غريب ؟ فأجابه الصيّاد العجوز : لا . . . إنه ليس غريباً . . هو أخو عمران ! ! . .

أخو جدّو ! . هذا مستحيل ! فهذه أول مرة يسمعان فيها أن عمّهما لقى حتفه من فوق صخرة !

قالت عالية لأخيها وهى لا تكاد تصدق الخبر : ولماذا لم يخبرنا جدّو أو يعلن أن عمّنا مات من فوق الصخرة ؟ ؟ . .

وعندما سمع الصيّاد العجوز هذا الكلام ، ظهرت عليه علامات الخوف وقال لهما : هل عمران جدّكما ؟ . فأجابه عارف : نعم . . ولكن لماذا دفعه هذا الرجل من فوق الصخرة ؟ ومن هو الفاعل ؟ . فتلجلج الصياد وأجاب : أنا لم أقل

شيئاً . . أنا لا أعرف ! . . اسأل جدّك ! ! . .

هاك سرّ جديد سيضاف إلى القائمة الطويلة ، سوف يكتبان عنه إلى أخيهما عامر ، بالإضافة إلى المعزة ظريفة – أو هى عجل أو خروف ؟ – والرجل الغريب سلطان !

قالت عالية : إنى أفكر الآن فى ماذا حدث عندما دخل سلطان المنزل . وهل قابل جدّو ؟ فأجابها عارف : سنعرف ذلك بعد قليل ، لقد أخطأنا ، إذ كان يجب علينا أن نراقب سلطان عن قرب !

وقبل أن يصلا إلى المنزل ، رأيا مبروكة عن بعد ، وكانت تقف قرب الباب الخارجى . فقالت عالية لأخيها وهى تضحك : ها هى العفريتة فى انتظارنا ! لابدّ أنها قلقت علينا ، واشتاقت إلى رؤيانا ، فقال لها عارف : يجب أن نسألها أولاً عن سلطان ! فردّت عليه عالية قائلة : والأهم من ذلك أن نسأل جدّو عن عمّنا الذى فقد حياته من فوق الصخرة ! ! وعن الرجل الذى دفعه ! .

قابلتهما مبروكة – على غير العادة – ببشاشة ، ودخلا المنزل وكانت الساعة الأثرية ذات البندول الطويل تدقّ الواحدة ، وصوتها يغطّى على صوت مواء مرجان الذى كان

فى استقبالهما .

أخبرتهما مبروكة أن جدّهما كلّفها بأن يعتذر لهما عن تناول الغداء معهما ، لأنه سيلزم حجرته ، بعد أن اشتدت عليه آلام الروماتيزم ! ! ..

سألتها عالية بغتة : وهل قابل جدّو سلطان ؟ ؟

ظهرت الدهشة على وجه مبروكة وترددت قليلاً فى الإجابة . ثم قالت : سلطان ! سلطان ! من هو سلطان ! ! .

فقال لها عارف : سلطان الذى وصل من طنطا ، وكان يريد مقابلة جدّنا لشراء المنزل ! . فأجابته مبروكة وهى تتصنّع الدهشة : شراء هـذا المنزل ! هذه نكتة ! لا .. لم أر أحـداً ! ..

يا لها من خبيثة ! .. يا لها من كاذبة ! .. لقد شاهدا سلطاناً وهـو يتجه نحو المنزل ويقـرع الباب . فلماذا هى تنكر ذلك ؟ لاشك أنهـا تريد أن تخفى شيئاً .. شيئاً خطيراً ! !

وهذا سرّ جديد سوف يضاف إلى القائمة الطويلة !

• • •

لم يبق أمامهما بعد أن تناولا الغداء غير دخول المكتبة .

فدخلاها وأغلقا الباب خلفهما ، وقصد عارف رأساً إلى الرفّ المعهود ، ومد يده ليتناول كتاب « جزيرة الكنز » .

ولكن ما لبث أن صدرت عنه صيحة مكتومة !

لقد اختفى الكتاب ! ! ..

• • •

بدء المعركة

سلطان

كان اختفاء الكتاب صدمة شديدة لهما ، فهما يتذكران جيّداً أنه كان موضوعاً بين هـذين المجلدين الضخمين .

ولكن أين اختفى الكتاب؟ لابدّ أن يدًا أخذته ! هل أخـذه جدّهما ؟ إنهمـا لا يعتقدان ذلك ! ألم يطلب منهما أن يفكّا لغز الخريطة العجيبة ؟ وأن يدخلا المكتبة فى أى وقت شاءا ؟ بعيداً عن أعين مبروكة !

هل أخذته مبروكة ؟ إذا كان هذا الفرض صحيحاً ، فهى تعلم إذن بوجود الخريطة ! ولكن .. لماذا لم تأخذ الخريطة من قبل ؟ إن لها ستة أشهر فى هذا المنزل !

وإذا كان حصل عليها شخص آخر .. فمن هو يا ترى ؟

وعلى حين غرّة صاحت عالية : ها هو الكتاب !

وكان مصدر الصوت صياداً عجوزاً يحمل شبكته على كتفيه . قال لهما محذراً : ألا تريا الغربان ؟

إلى أراه ! ! !

فقد لمحت الكتاب بنظرها الحادّ ودقة ملاحظتها ، وكان موضوعاً على أعلى رف بالمكتبة ، فى غير موضعه الأول بين المجلّدين الضخمين ! !

قفز عارف على كرسى وهو يكاد يطير من الفرح وأخــرج الكتاب . ثم أخــذ يقلّب صفحاته حتى وصل إلى صفحة ٧٥ .

ولكنه لم يجد شيئاً ! ! . . لقد اختفت الخريطة ! ! . .

وفى هذه اللحظة ، سمعا وقع أقدام أدركا أنها لمبروكة ، وتأكدا من ذلك عندما رأيا مرجان – وكان معهما فى المكتبة يداعب الببغاء زاهية – وهو يكشّر عن أنيابه ، ويرفع ذيله وظهره إلى أعلى ويموء ، فقد شعر بغريزته أنها أقدام مبروكة ! حتى مرجان لا يحبها !

أسرع عارف ووضع الكتاب فى موضعه ، وسار إلى حيث تقف عالية ، ووقفا يتظاهران بالبراءة ، وهما يتطلعان إلى رؤوس الغزلان المحنطة !

دخلت عليهما مبروكة وإمارات الشر تتطاير من عينيها ، وقالت لهما فى غضب : ماذا تفعلان هنا ؟ ! . فأجابتهـا

عالية : نحن نتفرّج على رؤوس الغزلان ، هل اصطادها جدّو كلّها ؟

فقالت لها مبروكة بوقاحة : حجرة المكتبة ليست مكانكما ! إصعدا إلى غرفتيكما فى الحال ! وسأبعث لكما العشاء الساعة السابعة .

اندهشا من هذه اللهجة العدائية المفاجئة ، ومن تماديها فى هذه المعاملة الجافة . فبأى حق تصدر لهما مبروكة هذه الأوامر ؟ ؟ . .

ثار عارف عليها وصاح فيها : جدّو أذن لنا باستعمال المكتبة ! ونحن نريد أن نزوره الآن لنطمئن عليه . فردت مبروكة عليه ببرود : جدّكما مريض ، وقال لى أنه يرغب فى أن يبقى وحيداً ، وأنا أباشر شئون المنزل فى أثناء مرضه ! . .

إنها ماكرة وخبيثة ! إذا كان جدّو مريضاً جداً ، فلماذا لا ترسل فى إحضار الطبيب ؟

قالت لها عالية : وهل سنترك جدّو يرقد وحيداً فى غرفته وهو مريض ؟ ألا يوجد طبيب هنا ؟ . . فأجابتها مبروكة : أقرب دكتور فى مطروح ! فقال لها عارف متطوعاً : إنى مستعد للذهاب بنفسى إلى مرسى مطروح ! . . ولكنها قالت له :

لا حاجة له بالطبيب . فسوف تزول عنه آلام الروماتيزم بعد قليل ، وأنا أعرف علاجه ! .

لم يجدا فائدة من المطاولة معها ، واستسلما أمام الأمر الواقع ! إذن لقد ابتدأت المعركة الحقيقية مع مبروكة ! حسناً . إذا كان هذا هو هدفها ، فهما مستعدان لخوض المعركة معها ! ولابدّ لهما من الانتصار فيها !

آه لو كان أخوهما عامر معهما الآن ! كان ولا شك سيقود المعركة ، ويشد من أزرهما . . ويتغلبون على هذه الداهية فى النهاية !

صعدا السلم الضيّق المظلم ، يتقدمهما مرجان ومبروكة ، التى كانت تصحبهما لتتأكد من دخولهما غرفتيهما . ولتأمن عدم محاولتهما البحث أو الاتصال بجدّهما !

دخلت عالية عند أخيها عن طريق الغرفة الصغيرة المسروقة كالعادة . فقال لها عارف : لقد حرصت على مراقبة مبروكة ونحن نصعد السلّم ، وكانت تنظر طويلاً إلى ناحية غرفة جدّو ! إن شيئاً يجرى هنا لا ندركه ! أما عالية فقالت له : أما أنا فقد اكتشفت شيئاً أهم من ذلك ، وهو عقب سيجارة مذهب فى طفّاية السجائر بالمكتبة ! . .

تعجّب عارف من قوة ملاحظة أخته ، فهو لم يلحظ ذلك ، مع أنه كان بجوارها فى المكتبة ! ولكنه يعزو رؤيتها للعقب إلى مجرد الصدفة ! ! .

قال لها : هذا هو العقب الثالث . فأجابته : نعم : الأول أمام باب غرفتك . . والثانى فى الكهف . . والثالث فى المكتبة ! . . ويبدو لى أن من دخّن هذه السجائر مهمل وغبىّ . . فوافقها عارف على رأيها وأضاف : هذا صحيح . واتضح أيضاً أن مبروكة أغبى منه ، وأنها غير حريصة ، فهى إذا كانت تخفى أحداً فلماذا تدعه يترك وراءه أثراً يفضحه أينما ذهب ! . ولكن هذا من حسن حظنا . .

أخذا يتبادلان الرأى ويبحثان عن الاحتمالات الممكنة : هل دخل سلطان المنزل ؟ وإذا افترضا أنه دخل فلماذا تنكر مبروكة ذلك ؟ وإذا ثبت أنه دخل ، فهل قابل جدّهما ! . . وإذا سمحت له مبروكة بهذه المقابلة ، فلماذا تمنعهما من رؤية جدّهما ، وتقف فى طريقهما ؟ أيكون سلطان هو صاحب أعقاب السجائر ؟ هذا جائز جداً . فلم يدخل المنزل أى أحد غيره ! ! . .

وإذا كان هو صاحب هذه السجائر فهذا يعنى أنه وصل

هنا منذ فترة وبات فى الكهف . . ودخل المكتبة ، تدلّ عليه أعقاب سجائره !

والأهم من ذلك أنه دخل أيضاً غرفة عارف ! ألم يترك عقباً أمام بابها ؟ فما هو السبب ، وما هو الغرض من دخوله هذه الحجرة بالذات ؟ ! !

إذا جاز كل هذا فمن المحتمل جداً أن سلطاناً ومبروكة شريكان يعلمان بوجود الخريطة ، وأنهما دخلا معاً المكتبة هذا الصباح ، وبحثا عن الخريطة حتى عثرا عليها ، ثم وضعا الكتاب فى غير موضعه الأصلى سهواً . فقد كان أمام سلطان ومبروكة من الوقت ما يكفى للبحث والتنقيب فى كل كتاب ، وهما متغيبان يشاهدان الصخرة . كما أن جدّهما مريض يلازم حجرته !

أما سمارة فربما كان متغيبا ، يناجى صديقته ظريفة !

فاقا إلى نفسيهما بعد أن وصل بهما الاستنتاج عند هذا الحدّ . أيكون جدّهما صحيحاً معافى ، وأنه محبوس الآن فى غرفته ! ! ومن الجائز أيضاً أن يكون سلطان قد ضربه ، أو أن مبروكة قد أعطته منوّماً ، حتى يخلو لهما الجو بعد أن أقفلا الباب عليه بالمفتاح !

وكل ذلك إن دلّ على شيء ، فعلى أن هذه الخريطة هامّة جدًّا !

وهذا بطبيعة الحال إذا صحّ أن سلطاناً دخل المنزل أصلاً وأنه على صلة بمبروكة !

أمسكت عالية بذراع أخيها فجأة ، وهمست فى أذنه : أتسمع صوتاً ؟ إنى أسمع وقع أقدام ! سأذهب إلى غرفتى توًّا فمن الأفضل ألاّ نشاهد فى حجرة واحدة .

وبعد قليل سمع عارف صوت طرق خفيف على بابه ، فاندهش لأنه ليست من عادة مبروكة أن تطرق الأبواب ! ولكنه لما فتح الباب وجد سمارة يقف أمامه ، وهو يحمل فى يده صينيّة عليها طعام العشاء ، فى حين وضع صينية أخته على الأرض .

دخل سمارة الغرفة وترك له الصينية على المائدة ، وخرج مسرعاً دون أن ينطلق بحرف ! ثم دخل غرفة عالية وفعل نفس الشيء !

حمل عارف صينيته بعد أن انصرف سمارة ، ودخل بها عند عالية ، وقال لها : حاولت أن أكلّم سماره ، ولكنه كان فى عجلة من أمره ! . فقالت له عالية : وأنا أيضاً ، ولكنه

غمز لى بعينه ، وأشار لى بأنه سيرجع ثانية .. ولابدّ أنه كان خائفاً من العفريتة !

جلس عارف يتناول طعامه ، وبينما هو يرفع صحفه ليضعه على المائدة ، إذ به يعثر تحته على ورقة صفراء ! ! ..

نظر عارف إلى أخته متسائلا : ما هذا ؟ . فقالت له : أتكون رسالة من سمارة ؟

وعندما قلب الورقة المطوية بين أصابعه وفتحها ؛ جحظت عيناه ، وعقد لسانه عن الكلام ! فقد كانت الورقة هى .. الخريطة المفقودة ! !

قفز عارف من كرسيه وقال لعالية : لا تتحركى من مكانك ! سأرجع إليك بعد قليل .

خرج عارف إلى الطرقة وهو يتلصص على أطراف أصابعه ، ثم هبط السلم فى رفق . كان المنزل هادئاً لا يسمع فى أرجائه غير صوت دقات الساعة الأثرية .

توجّه إلى المكتبة رأساً ، وما كاد يفتح بابها حتى فوجئ بصوت غريب وهو يصرخ فى وجهه : اديّنى حتّة سكّر ! ! ..

ولكن الهدوء رجع إلى نفسه حينما اكتشف أنه صوت الببغاء راهية !

توجّه إلى ركن بالمكتبة ، والتقط شيئاً موضوعاً على مكتب صغير . دسّه فى جيبه ، ثم هرول خارجاً . وصعد السلم باحتراس شديد ، وقصد حجرة جدّه ، ونقر على الباب بخفّة فلم يلق جواباً ، فقد كان السكون يخيم على الغرفة ! . .

حاول فتح الباب فوجده مقفلاً بالمفتاح ! !

وفى هذه اللحظة جاءه صوت العفريتة وهى تقول : منْ هناك ؟ . فقفز بخفة وهو يعدو ، وأخذ يقطع السلم الضيّق ، كل ثلاث درجات أو أربع فى خطوة واحدة ! وما كاد يدخل حجرته وهو يرهف السمع حتى جاءه صوت صرير المفتاح وهو يقفل بابه من الخارج !

وبعد فترة وجيزة ، دخلت عالية حجرته ، وقالت له : العفريتة قفلت بابى بالمفتاح ! !

فأجابها عارف : وبابى أيضاً . فنحن الآن سجينان ، ولولا الغرفة المسروقة لانقطع الاتصال بيننا تماماً ! . .

أخرج عارف من جيبه الشىء الذى أخذه من المكتبة ، وكان عدسة مكبّرة ! . وقال لعالية : الآن هيـا بنـا إلى العمل ! هيّـا إلى فك رموز الخريطة العجيبة الناقصة . . .

الرحلة إلى المجهول

عامر

أضاء عارف المصباح ووضع الخريطة أمامه على المائدة ، وبدأ حديثه فقال : والآن . . كيف وصلت هذه الخريطة إلى يد سمارة ؟ فقالت له عالية : لو أن سمارة اكتشف الخريطة ، وكان يدرك أهميتها لما فرّط فيها ، واحتجزها لنفسه .

ويجوز أيضاً أنه وضعها على الصينية ليخفيها عن مبروكة . . ثم نسيها !

ولكن عارف استدرك وقال : ويجوز أيضاً أن مبروكة اكتشفتها ووضعتها سهواً على الصينية ! فأجابته عالية : إذا صحّ هذا فهى ستعود حتماً لتحصل عليها ! على كل حال هذا لا يهمّنا الآن ، فالخريطة بين أيدينا ، فلنسرع فى دراستها لعلّنا نصل إلى نتيجة !

نظرت عالية إلى الخريطة وقالت : أظن أن هذا الرسم الذى يشبه الثعبان .. هو طريق يتفرّع منه ثلاثة طرق ، آخرها مكتوب فى نهايته حرف (خ) . وهذا الحرف قد يعنى (خطر) ، فيجب الحذر من هذا الطريق من باب الحيطة . وهذه السهام تشير إلى الاتجاه الذى يجب السير فيه .

فقاطعها عارف : ولكن هذا الرسم غير واضح . فأين يبدأ الطريق .. وأين ينتهى ! ! وهل هو أصلاً طريق ؟ وأين يقع هذا الطريق ؟

ولماذا لا يكون هذا الرسم نهراً ؟ ولكنهما لم يشاهدا نهراً فى هذه المنطقة ، ونهر النيل لا يصل إلى مرسى مطروح ! ولماذا لا يكون هذا الطريق أو النهر فى أستراليا مثلاً ! ! ..

وبعد تفكير قالت عالية : ربما هو طريق فى غابة ! فأجابها عارف لائماً : ليس فى مصر غابات ! هذه خريطة ناقصة ، والشخص الذى رسمها لم يوضّح لنا ما هو هذا المكان ، ولا أين ! . فقالت له : ولكن السطور الممسوحة قد تفسّر لنا كلّ ذلك ، لو أننا توصلنا إلى فك رموزها !

كانت عالية تصوّب نظراتها المدققة الفاحصة إلى الخريطة ، ثم قالت : ألا ترى معى أن هذا الخط المتعرّج ..

لا .. هنا ! .. هنا على يمين الخريطة إلى الشرق .. يشبه وجه إنسان ! ! ..

ضحك عارف وقال : مرّة هو ثعبان ! ومرة هو وجه إنسان ! دعينا من هذا الهذر والعبث ! ولنفحص الآن السطور الممسوحة . ومن حسن حظنا أن القلم كان جافاً ومدبباً ، ترك لنا أثراً عميقاً فى بعض الأماكن .

وضعا الخريطة أمام المصباح ، واستعانا بالعدسة المكبرة ، ولكنهما لم يتمكّنا من قراءة جميع الكلمات . وكان ما ظهر من السطور الستة هو هكذا :

انظر إلى .... الخشبيّة
.... تغطى الأرضيّة
وعدّ حتى الثالثة
ولكى تتفادى كارثة
.... وانزل بحيطة
وعليك اتباع الخريطة

هذا هو كل ما توصّلا إلى حلّه ، وهو لا يكشف لهما عن الكثير !

صمتا طويلاً إلى أن قطعت عالية حبل السكوت ،

وسألت عارف : هل فهمت شيئاً ؟؟ . وبعد تفكير عميق أجابها : الكلمات تقول : علينا اتباع الخريطة .. لكى نتفادى كارثة أو مصيبة ! وهذا معناه أن نتبع السهام ، فهى تشير إلى الطريق السليم ، وعلينا أن نتفادى الطرق الجانبية فهى لا تؤدى إلى شىء ، وخاصة الطريق الثالث .. وإلا وقعت كارثة ! فواضح أن حرف (خ) إنما يرمز إلى كلمة (خطر) ! وليس خندق أو خزانة كما كنا نتصور .

قالت عالية : ولكن الكلمات لا توضّح ما هى هذه الكارثة ! كما لا توضّح السهام إلى أين تقودنا ! .. لو كان عامر معنا الآن لما احترنا هذه الحيرة .. يجب أن نرسل له الخطاب باكراً ، وأن نستحثه على سرعة المجىء .

وفجأة أمسكت عالية بذراع أخيها وهمست له : صه ! إنى أسمع صوتاً فى الخارج !

سمعا وقع أقدام ، وسمارة وهو يقول بصوت خافت : افتح أنا سمارة .

وفى لحظة خاطفة ، حدث أمر غير متوقَّع ! إذ سمعا دبيب أقدام ثقيلة ، أعقبه صوت جسم يتدحرج على السلم ،

وسمارة يصرخ ويستغيث ! !

أدركا أن رجلا اقتفى أثر سمارة وجرّه إلى السلم ، ثم قذف به من علٍ فهوى حتى الدور الأول ! ! ..

من يكون هذا الرجل غير سلطان ! ! فلا أحد غيره دخل المنزل هذا اليوم .. إنه هوماً فى ذلك من شك !

كان بودّهما أن يهرعا لنجدة سمارة ، ولكن ما العمل وبابهما مغلق عليهما من الخارج .

أطفأ عاطف المصباح فساد الظلام أرجاء الغرفة ، ثم سار هو وعالية نحو النافذة وأطلاّ منها بحذر يستطلعان الخارج ، فشاهدا شبح سمارة فى الظلام وكان يعرج وهو يعدو فى الحوش ، إلى أن دخل الحظيرة وأغلق بابها وراءه ! وبعد برهة وجيزة شاهدا مبروكة وقد خرجت من المنزل مسرعة ، وهى تبحث عنه على ضوء بطارية صغيرة .. ولما لم تعثر عليه دخلت المنزل ثانية وهى تهدد وتتوعد .

وقبل أن يشرعا فى مغادرة النافذه ، لمحا شبحاً يسير بجوار الحائط فى الحوش .. فلفت عارف نظر عالية إليه وقال لها : من تظنين هذا الشبح ؟ أهو سلطان ؟ .. ولكن بعد أن تمعنت عالية فيه أجابته : لا ! فسلطان ضخم الجثة !

تسلق «عامر» الماسورة فى سهولة ، كقرد يتسلق شجرة ودخل الحجرة من النافذة

اقترب الشبح حتى وقف تحت النافذة . ثم أخرج بطارية من جيبه ، وكان على وشك أن يقرع الباب !

ظهرت صورة الشبح واضحة جلية فى ضوء البطارية . وما إن تبيّناه حتى صدرت عنهما صيحة مدويّة كادت تفضحهما ، وصرخت عالية قائلة : لا ! .. هذا مستحيل ! ! إنه عامر ! ! ..

ناداياه بصوت خافت ، فأطلّ عليهما والدهشة تعقد لسانه ، فأشار له عارف بالانتظار ، وألاّ يدخل البيت من بابه !

تعجّب عامر من هذا الغموض ! ولكنه أطاعهما وامتنع عن الدخول مستمعاً إلى نصيحة أخويه ، ثم تلفّت يمنة ويسرة ، وفحص الحائط عن قرب ، فلم يجد غير ماسورة مياه تجاور النافذة وتصل حتى الأرض !

ولما كان عامر بطلاً رياضياً فى مدرسته ، فقد تسلّق الماسورة فى سهولة ويسر ، كقرد يتسلق شجرة ، ودخل الحجرة من النافذة !

كان عارف وعالية لا يصدّقان أعينهما . أصحيح أن عامراً قد وصل ! .. الحمد لله . أخيراً ها هو يقف

بينهما بلحمه ودمه ! . .

قال لهما عامر : ما الذى يحدث هنا ؟ لا تنسيا إنى لا أعلم شيئاً ! فقال له عارف : قبل أن تعرف ما يحدث هنا ، خبّرنا أولا كيف حضرت !

أخذ عامر يروى لهما قصته . فقال أنه تسلّم هذا الصباح برقية من جدّهم يدعوه فيها إلى ضرورة الحضور على عجل إلى مرسى مطروح .

وهنا قالت عالية : آه . . الآن فقط فهمت جدّو أرسل سمارة بالبرقية . وهذا هو العمل الهام الذى قال للعفريتة إنه سيكلّفه به ، عندما أرسلها إلى مطروح لتبتاع له الجرائد ! وقد قصد من ذلك أن يقدّم لنا مفاجأة سارة .

تساءل عامر : تقولين عفريتة ! هل هناك عفاريت فى المنزل ؟ هل البيت مسكون ؟ ؟ ! . .

فضحكت عالية وقالت له : هذا اسم أطلقه سمارة على مبروكة ! . فقال لها : ومن هما سمارة ومبروكة ؟ فأجابه عارف ! ستعرف كل شىء حالا ! أولا نحن مسجونان هنـا . . و . . .

وقبل أن يتم جملته وضعت عالية كفّها على فمه

لتمنعه عن الكلام !

كانت أذن عالية مرهفة الحسّ تسمع دبيب النملة فقد شعرت بصدى صوت يأتى من بعيد !

ظهرت الحيرة على وجه عامر ، وهمس فى أذن عالية : ممّ تخافان ! ولماذا لا تتكلمان ! . . فقالت له عالية بهمس لا يكاد يسمع : نحن نوهمهما أننا نائمان ! !

اعتقد عامر أن المقصود بذلك هما جدّه ومبروكة . فهما الشخصان الوحيدان فى المنزل ، فقال لها : تقصدين طبعاً جدّو ومبروكة ؛ أو ربما سمارة ! . . ولكن . . .

أشارت له عالية أن يصمت ، فقد كان الصوت يقترب رويداً رويداً !

كان الصوت صوت حذاء خفيف ، أو شبشب ، يختلط معه صوت وقع حذاء ثقيل . ثم صوت يقول : لا حركة ولا حسّ يصدر عنهما ، لابدّ أنهما قد ناما ! . وكان هذا هو صوت مبروكة ! ثم أعقبه صوت رجل أجشّ ، تعرّف عليه عارف وعالية فى الحال : فقد كان صوت سلطان وهو يردّ على مبروكة : أعتقد أنهما ناما فعلاً يا والدتى ! ! ! . . والدتى ! ! ! يا للاكتشاف الخطير ! سلطان ابن

مبروكة ! ! .

قالت له مبروكة : أمامنا الليل طويل . ولن يزعجنا أحد . فهما مسجونان فى حجرتيهما . وكذلك عمران !

فأجابها سلطان : سمارة ما زال حراً طليقاً . ولكن بعد العلقة الساخنة التى أعطيتها له ، لا أظنه سيظهر ويعود !

فقالت مبروكة : كنت أظن أننا يمكننا أن نثق بسمارة ! ففاتحته فى الأمر ولكنه رفض وخيّب ظنّى فيه ولكنى اكتشفت صدفة أنه يحتفظ بمعزة صغيرة يعالج ساقها المكسورة ، فهددته بأنى سآخذها منه ! ! ولا أعتقد بعد هذا التهديد أنه سيشى بنا !

نظرت عالية إلى عارف وكأنها تقول له : إذن هى معزة صغيرة ضالة يعالج ساقها المكسورة .. وليست عجلاً أو خروفاً !

لاشك أن سمارة ولد عطوف حنون .. ويمكن الاعتماد عليه !

واصلت مبروكة همسها فقالت : والآن سنتوجه إلى المكتبة . إذا كنت تظن أنها ما زالت هناك . !

فأجابها سلطان : قلت لك مراراً إنى رأيتها بعينى ومحروس

يضعها فى كتاب . . ولا أحد يعلم عنها شيئاً غيرنا !

ثم صمت سلطان قليلاً وعاود همسه : نعم . . لم يعلم بها غيرى وغير شريكى فى التجارة محروس أخو عمران . . وكنا قد اختلفنا فى العمل ، وانفصلت عنه بعد أن أفلست وأضعت مالى وثروتى ، وكنت أعلم أن لمحروس ثروة ضخمة . زيّن لى الشيطان أنى لو حصلت عليها لأنقذتنى من ورطتى . وأنه كان يخفى هذه الثروة فى مكان أمين . فتتبّعته السنين الطويلة بهدف اكتشاف مكانها . . ولكن بدون جدوى . . فقد كان محروس حريصاً . إلى أن باغتّه ذات يوم فى المنزل ، فرأيته مرتبكاً وهو يحاول إخفاء كتاب على رفّ بالمكتبة بعد أن دسّ فيه ورقة صفراء ، اعتقدت تماماً أنها تحوى دليلاً على مخبأ الثروة . . أو ربما وصيته . فهجمت عليه لأنتزعها منه ولكنه تمكّن من الإفلات منى ، وفر هارباً وهو يعدو بأقصى سرعته . وأنا أتعقّبه كظلّه . إلى أن وصل إلى صخرة عمران المشئومة . وهناك وقعت بيننا معركة رهيبة غير متكافئة . دفعته بعدها بشدة فهوى من شاهق إلى الشاطئ الصخرى . ولكن كان ذلك بعد أن ترك لى هذا الجرح الغائر فى جبينى قبل أن يلقى حتفه . كتذكار أبدىّ لهذه المعركة .

وقد خشيت أن أعود توًّا إلى المنزل بعد المعركة للبحث عن هذا الدليل ، لئلا يُكتشف أمرى ، وخوفاً من مطاردة الشرطة ، وأرجأت هذا البحث إلى الوقت المناسب ، وبعد أن ألحقتك يا والدتى بخدمة عمران . حتى تسهّل لى الدخول إلى المنزل للعثــور على ضالتنــا المنشودة ، وبدون إثارة أية شبهات !

وهنا قاطعته مبروكة قائلة : ما علينا ! هذا تاريخ قديم . الآن هيا بنا إلى المكتبة . لقد أضعنا وقتنا فى الكلام والثرثرة . وإذا صادفنا الحظ فسوف نعثر على الكنز الثمين ! . . إنه يقدّر كما تقول بمئات الألوف ! !

سارا فى طريقهما إلى المكتبة ، بعد أن تأكدا تماماً ، وتصنتا على جميع الغرف . من أن الجميع ينام .

ولما اطمأن عامر إلى اختفائهما قال : ما هذا ! عمّنا محروس قتل ! الكنز الثمين ! مئــات الألوف ! ما معنى كل ذلك ؟ ؟

فرد عليه عارف بقوله : إننا لا نعرف بالضبط حتى الآن . ولكننا سوف نكتشف ذلك قريباً ولكن قبل ذلك يجب أن تعرف ماذا حدث لجدو . . فهو محبوس فى غرفته لا صوت ولا حسّ له ، وربما يكون قد أصابه بعض الأذى على أيديهم !

ثم نظر إلى أخيه عامر وقال له : والآن سنطلعك على **الخريطة** العجيبة التى سلمها لنا جدّو ، وسبق الشرير سلطان فى اكتشافها ، وحرمه منها .

فوجئ عامر بهذا النبأ ، فهو لم يكن يتصور قبل وصوله ، أن اللغز الصغير سوف يصل إلى حدّ وجود خرائط ! . .

فقال : خريطة ! ! هل هناك خرائط أيضاً ؟ !

فأخرج عارف الخريطة من جيبه وقال : نعم . ها هى الخريطة . ولكنها للأسف مبهمة ناقصة .

أخذ عامر يتفحص الخريطة باعتناء وهو مستغرق فى تفكير عميق . وعارف وعالية يجلسان أمامه **لا ينبسان** بحرف . لئلا يقطعان عليه حبل تفكيره .

وأخيراً خرج عامر عن صمته وقال : لاشك فى أن هذه الخريطة **هى النسخة الأصلية التى رسمها عمّنا محروس**

فأجابته عالية بأنهما تأكدا من ذلك . بعد أن قارنا بين الكتابات المدونة فيها ، وبين بعض الملاحظات التى دوّنها محروس فى كتاب «جزيرة الكنز» ، فوجداها متطابقة .

قال عامر بهدوء وكأنه يقرر أمراً واقعاً : إنى توصلت الآن إلى أشياء كثيرة . فالمسألة **ليست** بالصعوبة التى تبدو عليها ، خاصة بعد سماعنا للمحادثة الهامسة التى جرت بين الشرير سلطان وأمه العفريتة ، وإنى أشك فى أن سلطاناً هو اسم انتحله لكما ، فهو لبس باسمه الحقيقى .

استطرد عامر فى الحديث وقال : اتضح لنا أن عمّنا كان يملك ثروة ضخمة . لا نعرف **طبيعتها** بالضبط . ولكنها قد تكون جواهر أو ذهب مثلاً . وأنه أخفاها فى مكان أمين بعيداً عن أيدى الطامعين فيها ، ثم رسم للمكان هذه الخريطة العجيبة . لئلا تختفى معالمها إذا ما حدث له مكروه . وعرفنا أن مبروكة كان تسهّل لابنها مهمة مراقبة عمّنا عن قرب ، والدخول إلى المكتبة كلما سنحت لهما الفرصة المواتية .

ثم صمت قليلاً وقال : ولكن ما يحيّرنى هو . أين المكان الذى كان يأوى إليه سلطان ويتخذ منه مقرًّا لقيادته » ؟ لابدّ أن يكون مكاناً سريًّا أميناً ، وأن يكون بعيداً عن أعين الشرطة ورقابتها ، وأن يكون قريباً من دار عمران فى الوقت نفسه ! !

وهنا صاحت عالية : الكهف ! ! كان يعيش

فى الكهف ! !

فقال لها عامر وهو مذهول : كهف ! وهل هناك كهوف أيضاً ؟ ؟ . فأجابته عالية بأنه سيعرف كل شىء فيما بعد . فليكمل حديثه أولاً .

استرسل عامر فى تصوره لما حدث وقال : وفى يوم من الأيام . كان عمو محروس يجلس فى المكتبة وحيداً يرسم الخريطة . وينظم عليها هذه الكلمات التى تشبه الزجل ، والتى توضّح مكان الكنز . وهذا هو المفروض من نظمها ، ولكنه حاول أن يمسح هذه الكلمات لأنها لم تعجبه ، ربما لركاكتها ، أو لأنها مبهمة عسيرة الفهم .

ثم صمت قليلاً وقال : وإنى أتصور أنه شعر فى هذه اللحظة بوقع أقدام تقترب من الباب ، فلم يتمكن من مسح جميع الكلمات .. ثم وضع الخريطة فى كتاب كان فى جنبه مصادفة . وهرول إلى المكتبة ودسّه . كما اتفق ، فى أول مكان صادفه .

وهنا تدخّل عارف وقال : ولكن سلطاناً لم يمهله ، إذ كان قد فتح الباب فى هذه اللحظة ورآه وهو يفعل ذلك . فأجابه عامر مؤمناً على كلامه : تماماً . هذا هو ما حدث .

والباقى معروف سمعناه . مفصّلاً من سلطان .

كان عارف وعالية يرمقانه بفخر وإعجاب ! إن المسألة تبدو الآن بسيطة واضحة . فلماذا لم يصلا هما إلى ما وصل هو إليه ؟ حقًّا إن عامراً شعلة متوقدة من الذكاء والنباهة وبراعة الاستنتاج .

صمت عامر طويلا وهو يقدح زناد فكره . إلى أن قال : ولكنّ هناك شىء واحد يستعصى على إدراكى ! .. وهو كيف وصلتكما هذه الخريطة !

فنطق عارف وعالية فى صوت واحد : وهذا هو ما يحيّرنا أيضاً ! !

فك رموز الخريطة العجيبة

كان الثلاثة منهمكين فى دراسة الخريطة ، عندما قال عارف إن الخط المتعرّج فى أقصى اليمين يشبه نهراً . . ربما كان نهر النيل !

تأمل عامر فى هذا الخطّ المتعرج وقال : ولماذا نذهب بعيداً ونحن أقرب إلى الشاطئ .. فنحن نجاور البحر

قفزت عالية وهى تصيح : نعم .. نعم .. وهذا هو الأنف ! إنى أراه واضحاً جداً .

فاندهش عامر وسألها : أنف ! ماذا تقصدين بالأنف ؟ !

فأجابه عارف نيابة عن أخته : تظنّ عالية أن الشاطئ هنا يشبه فى تعاريجه وجه إنسان ! ثم ضحك وقال : ووجه مبروكة بالذات ! هذا هو أنفها ، وهذا هو فمها ، وهذه هى ذقنها ! وكان يشير بأصبعه إلى الخط المتعرج فى أقصى

يمين الخريطة .

قال عامر : من الجائز أن تكون هذه الخريطة رسماً كروكياً توضحياً لهذه المنطقة . وهذا الطريق . وهذه السهام . تقود إلى فمّ مبروكة كما تقول عالية !

فقالت عالية بفرح : تماماً .. أى إلى الكهف !

لم يبق أمامهم إلاّ اكتشاف هذا الطريق . أهو فوق الأرض ! أو هو درب فى الصحراء ! أو هو نفق تحت الأرض !

قال عامر : إذا كان هذا الطريق يؤدى حقاً إلى الكهف . والكهف كما تقولون يقع فى مستوى شاطئ البحر وتحت الصخرة ، إذن فهذا الطريق لابدّ أن يخترق الصخرة ويمرّ تحتها ! يعنى لابدّ أن يكون نفقاً ! ! ..

فأجابته عالية : وأنا أيضاً أرجح ذلك .. هو فى الغالب نفق يجرى تحت الأرض ، وينتهى داخل الكهف . ولكن أين يبدأ النفق ، وأين مدخله ؟ هذا ما لم توضحه لنا الخريطة !

فقال لهما عامر وهو يكاد يأكل الخريطة بعينيه : إذا أمكننا حل رموز الكلمات الناقصة ، توصّلنا إلى

اللغز الغامض ! .

واصل عامر دراسته لهذه الكلمات بعناية ، إلى أن فاجأهما بقوله : أظن أنى توصّلت إلى حلّها ! . .

لم يصدّقاه أول الأمر ، ولكنه أخذ فى شرح ما خفى عليهما : الكلمات فى السطرين الأول والثانى تقول :

انظـــر إلى . . . . . الخشبية

التى . . . . الأرضية

فقاطعه عارف بقوله : ولكن هذا الكلام مبهم لامعنى له !

فأجابه عامر باهتمام : بل له معنى ! إذا افترضنا أن هناك أرضيّة خشبية .. فماذا يغطيها ؟ ؟

وهنا تسرّع عارف وقال : سجّادة . . أو حصيرة !

فضحكت عليه عالية وقالت له مصحّحة : بل ألواح ط . .

فقال لها عامر : هذا أصحّ . فإذا أكملنا الجملة كانت هكذا :

انظر إلى الألواح الخشبية

التى تغطّى الأرضيـــــة

قال عارف وهو يشعر بالخجل لعدم إدراكه هذه الحقيقة

الواضحة بالسرعة الكافية : هذا صحيح ، لا أدرى كيف فاتت علىّ . . الحمد لله قد تخلصنا الآن من ثلث الأبيات . . ولم يبق أمامنا إلاّ الثلثين !

استطرد عامر فى تفسيره وقال : أما السطر الثالث فهو كامل وواضح ، وهو يطلب منك عدّ الألواح حتى تصل إلى اللّوح الثالث !

فقال عارف : هذا واضح جداً الآن . . وهو بسيط !

استمر عامر فى شرحه : والسطر الرابع واضح كذلك ، وهو ينبّهك إلى أقرب وقوع كارثة ، ما لم تتبع التعليمات المدوّنة .

فقال عارف : عال . . عال . . الحمد لله قد تخلصنا الآن من ثلثى الأبيات . . ولم يبق أمامنا إلاّ الثلث الأخير !

استمر عامر فى شرحه وقال : أما السطـر الخامس فيقول :

. . . . وانزل بحيطة

أى انزل بحذر شديد ! فكيف تنزل ما لم يكن هناك مدخل أو كوّة أو فتحة ؟ ؟ . . وهذا يستدعى بداهة رفع الألواح ، أو على الأصح اللوح الثالث بالذات ، إذ قد

يخفى هذا اللوح فتحة أو مدخلاً ! وبهذا يكون السطر الخامس هكذا :

ارفع اللوح وانزل بحيطة

فقالت عالية وهى غير مصدّقة : وإذا نزلنا فسوف نجد النفق ! وعلينا اتباع ما فى الخريطة ، لئلا تصادفنا كارثة أو مصيبة . وفى النهاية نعثر على الكنز الثمين ! هذا فى منتهى البساطة !

وأخيراً أخرج عامر قلمه وكتب ما توصّل إليه على قصاصته من الورق :

انظر إلى الألواح الخشبية
التى تغطى الأرضيّة
وعدّ حتى الثالثة
ولكى تتفادى كارثة
ارفع اللوح وانزل بحيطة
وعليك اتباع الخريطة

قال عارف : المهم الآن وقد توصّلنا إلى فك رموز السطور الستة أن نعثر على مدخل النفق ! ولا أدرى كيف سيكون ذلك ونحن محبوسون هنا فى هذه الزنزانة الضيقة ! ! . .

صمت عامر ولم يجب ، فقد كان يفكّر بعيداً . ثم قال فجأة : أعتقد أن عمّو قصد أن يخفى ثروته أو كنزه فى مكان أمين بعيداً عن أعين الطفيليين والأفاقين المغامرين ، ثم رسم هذه الخريطة ووضّح عليها مكان الكنز ، وبطبيعة الحال لا فائدة من هذه الخريطة ما لم يوضح عليها مكان المدخل أيضاً ! . .

فسألته عالية بلهفة : أتقصد أنك اكتشفت مكان المدخل ؟

فأجابها : ليس بعد ! ولكن بقليل من التعقل والروية يمكننا أن نصل إليه ! وإنى واثق أن هذا المدخل فى هذا المنزل بالذات !

فقاطعه عارف : ولماذا لا يكون فى موقع آخر . . فقال عامر : ذكر عمّو كلمة « الألواح الخشبية » ، والألواح تكون عادة فى الحجرات وفى البيوت ، أليس كذلك ؟ . . فإذا كان الأمر كذلك فما الداعى لأن يخفى عمّو كنزه فى مكان غريب بعيد ، ولديه هذه القلعة الواسعة الحصينة ؟

ثم سألهما عامر : هل توجد حجرات ذات ألواح خشبية فى هذا المنزل ؟ . فقال له عارف : نحن لم نر إلاّ المكتبة ،

آثار الرعب تبدو على عيني «سلطان» و «مبروكة» ، عندما تبين لهما أن كرتي الضوء .. هي عينا مرجان !

وحجرة الطعام ، وغرفتي ، وغرفة عالية ، وأرضيّاتها جميعها مرصوفة بالبلاط المعصراني ؛

ابتسم عامر ابتسامة ذات معنى وقال له : كان يجب عليك أن تلاحظ شيئاً هاماً ، وهو أن الحجرة الصغيرة المسروقة أرضيتها من الألواح الخشبية القديمة !

وفى لمح البصر هجم ثلاثتهم على الحجرة المسروقة ، وأخذوا فى معاينتها ، وكانت تزدحم بهم لضيقها وصغرها .

أخذت عالية تعدّ الألواح العريضة بصوت مسموع : واحد ، اثنين ، ثلاثة ... هذا هو اللوح الثالث ! إنه عريض جداً .

قفز عامر فوق اللوح الخشبى الثالث العريض ، وأخذ يدقّ عليه بكل ثقله ، فوجد أنه غير ثابت يهتز تحت وطأة قدميه ..

حاول الثلاثة رفعه ولكنه كان ثقيلاً ، ولكنهم تمكنوا من زحزحته ورفعه بعد مجهود شاقٍ مضنٍ ، حتى أخذ العرق يتصبّب من جبينهم .

رفعوا اللوح الخشبى فظهرت لهم فتحة ضيقة تكفى لأن يهبط منها شخص واحد . ومثبّت فيها سلّم خشبىّ يقود إلى

أسفل . . إلى المجهول ! !

تجمّعوا حول الفتحة وأخذوا يطلّون منها ، ولكنهم لم يروا شيئاً سوى الظلام الدامس . وكانت رائحة الرطوبة تهبّ عليهم قويّة من باطن الأرض .

وقفوا وهم يرتعدون من الرهبة ، فقد كان المنظر مخيفاً من الخارج ، فما بالهم بداخل النفق الطويل الذى سيخترقونه إلى أن يصلوا . . . إلى أين ! ربما أسفل الصخرة . أو ربما داخل الكهف ! . . أو إلى المجهول ! . .

كانوا يفكرون فى (الكارثة) التى جاء ذكرها فى الخريطة . أى نوع من الكوارث ، وما هو كنهها ؟ ؟ . .

وكل هذا يتوقّف طبعاً على ما إذا كان حلّهم لرموز الخريطة صحيحاً ! أما إذا كانوا قد أخطئوا الحلّ ، فكان الله فى عونهم ! لأن المغامرة التى سيقدمون عليها خطيرة ووعرة لا يحتمل معها الخطأ ! وإلا فماذا سوف يكون عليه مصيرهم ! يا لها من مخاطرة ما كان أغناهم عنها ! . .

ظلّوا ساكنين واجمين لعدة دقائق إلى أن نطقت عالية بصوت مرتعش : وماذا سنفعل الآن ؟ ؟ فأجابها عامر ببساطة : هيّا بنا . . ماذا ننتظر ! . .

قال عارف : وإذا رجعت مبروكة ومعها ابنها الشرير لم يجدانا فى الحجرة ! ربما اقتفيا أثرنا .. أو قفلا وراءنا باب النفق وحبسونا بداخله ! ..

فأجابه عامر : لا أظن ذلك .. فلا تضيّع الوقت . هما الآن فى المكتبة منهمكان فى البحث عن الخريطة ! واقترح أن ننزل معاً ، أنت وأنا ، ونترك عالية هنا ، فنى مجيئها معنا مخاطرة كبيرة !

فاعترضت عالية فوراً على تصريحه ، وقالت محتجة : وإذا عادت مبروكة وسلطان وعثرا علىّ وحيدة فى الغرفة ! لا .. لا .. يجب أن نتضامن معاً ، فالواحد فداء الجميع .. والجميع فداء الواحد .. على رأى الفرسان الثلاثة . ومع ذلك فمّم تخافون ! هل سنقابل أسوداً ونموراً ؟ ؟ ..

* * *

بالرغم مما صادف الإخوة الثلاثة من أوقات عصيبة ، ومواقف خطيرة فى مغامراتهم السابقة ، إلا أنهم لا يذكرون ما فاق إثارة النزول إلى هذا النفق العجيب !

تقدم عامر يحمل بطاريته ، تتبعه عالية فى الوسط ، ثم عارف فى المؤخرة . كان تقدمهم بطيئاً ، يخطون بحرص

وحذر وصعوبة ، لأن النفق كان ينحدر فى ميل شديد ، ولا عجب فى ذلك فهو يتجه الآن إلى باطن الأرض ، يخترقها حتى يصل أسفل الصخرة !

هذا إذا صحّت الخريطة ! أو بعبارة أدقّ .. إذا صحّت قراءتهم للخريطة !

كانوا يثرثرون لمجرد إبعاد الخوف عن نفوسهم ، ويستمعون إلى صدى أصواتهم يأتى من بعيد ، يرنّ فى أرجاء النفق ويملأ فراغه ..

وهكذا ابتدأت رحلتهم العجيبة إلى عالم المجهول .. وهم لا يعلمون كيف ستنتهى .. أو كيف سيعودون ..

* * *

داخل النفق الرهيب

واصل الثلاثة تقدمهم على مهل وبخطى بطيئة ، والبطارية تضيء الطريق تحت أقدامهم .

القط مرجان

كانت عالية تمسك بطرف جاكتة عامر ، فى حين كان عارف يمسك بطرف فستان عالية ! وكأنهم من متسلقى الجبال .. كل متسلق منهم يُربط فى زميله بحبل .

بدءوا يشعرون بالتعب ، ليس فقط من انحدار النفق ، بل من ضيقه وانخفاض سقفه ، فقد كانوا يزحفون بسرعة السلحفاة ، ورؤوسهم مطأطئة لا يرون إلاّ أرض النفق !

وأخيراً وصلوا إلى مكان من النفق اتّسع عرضه ، وعلا سقفه ، واستقامت أرضه . وهنا فقط تنفسوا الصعداء .

قال عامر : ألا تش ـ ن معى بتيّار من الهواء البارد ؟

فقالت عالية مؤمنة على كلامه : نعم .. لعلّه يصلنا من الكهف .. فأنا أشم رائحة البحر ! . وقال عارف : وأنا أيضاً .. والآن إذا صدقت الخريطة فسنصل قريباً إلى التفرّع الأول على اليسار !

وقالت عالية محذّرة : يجب علينا ألاّ نخطئ لئلاّ ندخل الطريق الثالث الخطر .. فطمأنها عامر قائلاً : على كل حال فنحن لن نحيد يميناً أو يساراً ، بل سنتبع السهام فى الخريطة ..

وصلت قافلتهم إلى التفرّع الأول من الطريق ، وكانوا يسيرون الآن وهم معتدلوا القامة . ثم وصلوا بعد فترة وجيزة إلى التفرّع الثانى .

بدأ الاطمئنان يدخل قلوبهم .. فالخريطة صادقة .. حتى الآن ! ! .. إلى أن تلفّت عامر وراءه ليحدّث عالية ، ولكنه ما لبث أن بُهت مما رأى ، وانعقد لسانه عن الحديث ، وكانت آثار الرعب تبدو على وجهه ! فقد شاهد وميض نور أخضر يشعّ فى الظلام وهو يقترب منهم ! ولكن آثار الخوف ذهبت عنه فجأة عندما تبين له أن كُرتى الضوء .. هما عينا مرجان .

كانت عينا مرجان تبرقان كعينى النمر فى الغابة المظلمة . وكان يتبعهم كظلّهم . لقد رفض مرجان البقاء وحيداً فى الغرفة !

أصبحوا الآن أربعة . واصلوا مسيرهم إلى الأمام يتقدمهم مرجان الذى سبقهم . . وكأنه يستكشف لهم الطريق !

كانوا يقتلون الوقت فى الحديث ، فقالت عالية وهى تتطلّع إلى جدران وسقف النفق : تُرى من حفر هذا النفق ؟ . فأجابها عامر : ليس جدّو عمران بطبيعة الحال . . أو عمّو محروس ، هذا نفق قديم جداً ، والبيوت القديمة كلها تحتوى على سراديب ودهاليز وأنفاق !

وقال عارف : أو ربما حفره جماعة من المهرّبين ! ولكن هل يعلم جدّو بوجود هذا النفق ؟ فأجابه عامر : طبعاً هو يعلم . إذا كان عمّو محروس يعلم بوجوده فلابد أن جدّو يعلم به كذلك !

ثم قالت عالية وهى تستغرق فى الضحك ، وكانت ضحكاتها المتواصلة تسرّى عنهم وسط جو النفق الخانق المخيف : ومن الجائز أن جدّو وعمّو كانا يلعبان فيه « الاستغماية » عندما كانا فى سنّنا ! !

كان عامر يفكّر فيما قاله عارف : إذا كان المهربون قد حفروا هذا النفق حقيقة ، فلابدّ أن يكونوا قد شقّوا له مخرجاً يصل بهم إلى برّ الأمان . . وهرباً ممّن يقتفى أثرهم . . وأغلب الظن أن يكون هذا المخرج – ويعتبر مدخلاً فى الوقت نفسه عند الضرورة ! – قرب شاطئ البحر .

كان يهمّه وجود هذا المخرج ، حتى إذا قطع عليهم سلطان ومبروكة خطّ الرجعة . . أمكنهم الإفلات من المطاردة عند نهاية النفق .

قال عامر : نحن نقترب الآن من الطريق الثالث الخطر ، فيجب الحذر . ويجب أيضاً أن نراقب مرجان ، وأن نمنعه من دخوله . . . ولكن أين مرجان ؟ ؟

أخذ ينادى على مرجان ، ولكنه كان قد اختفى تماماً عن الأنظار !

قالت عالية : ربما رجع مرجان إلى المنزل ، أو سبقنا إلى الأمام ، على كل حال لا خوف عليه ، فللقطط سبعة أرواح . .

تابعوا السير بسرعة ، وكان الأمل يداعبهم فى العثور على الكنز وقد قاربت رحلتهم على النهاية .

لاح لهم الطريق الثالث الخطر . وعندما مرّوا أمامه هبّ عليهم منه نسيم البحر . سكتوا عن الحديث والخوف يتملكّهم ، والتصقوا ببعضهم حتى أصبحوا كشخص واحد يسير على ست أقدام !

وأخيراً وصلوا إلى نهاية المطاف ! فوجدوا أنفسهم فى مكان متسع ، يسدّه حائط من الصخر الأصمّ !

صوّب عامر البطارية على الحائط فوجد فيه ثغرة صغيرة ارتفاعها يقرب من النصف متر ، هى التى كان ينفذ منها الهواء !

أخذ يدير ضوء البطارية الضعيف هنا وهناك ، فلم يجد شيئاً ، كان المكان خاوياً تماماً كالصحراء الجرداء ! ! . .

كاد اليأس ينتابهم حينما صاحت عالية : انظرا ! هناك . . ! !

فأدار عامر البطارية ونظر فى الاتجاه الذى أشارت عليه ، فاكتشف تجويفاً فى ركن أسفل الحائط الصخرى ! ! .

كان التجويف صغيراً لا يلفت النظر ، عثروا فيه على كيس أسود ! ولما أخرج عامر الكيس وجده ثقيلاً ، ولما تحسّسه وجد فيه شيئاً صلباً .

فقال له عارف وهو يتعجّله : هل وجدت شيئاً ؟ أخرجه بسرعة لنرى محتوياته ! فأجابه عامر وهو يهتز من الفرح : نعم . غالباً هو صندوق صغير !

فتح عامر الكيس الأسود فوجد به صندوقاً متوسط الحجم ملفوفاً فى ورقة اصفرّ لونها ، وعلى الورقة كتبت هذه الجملة بالحبر الأحمر :

إلى عمران الطيّب . . من محروس الشقىّ . .

وعندئذ لم تمالك عالية شعورها فصرخت : أخيراً . . لقد عثرنا على الكنز الثمين ! !

تكلم عامر بهدوء وقال : هذا الصندوق هو ما رسمت الخريطة من أجله . وهذا هو ما تبحث عنه مبروكة وابنها سلطان !

فأكمل له عارف كلامه : وما زالا يبحثان عنه حتى هذه اللحظة فى المكتبة . . هيّا افتح الصندوق لنرى ما فيه من نفائس . . .

وهنا تدخّلت عالية معترضة عليهما : كيف نفتحه ! إنه يخص جدّو ، ولا يخصّنا نحن !

سكت عامر وعارف على مضض ، فهما يعلمان جيّداً

أن الكنز لا يخصّهم ، ولكن ألا يرجع الفضل فى اكتشافه إليهم ؟؟ فلولا مغامرتهم وجهودهم المضنية ، ومخاطرتهم المثيرة ، لما عثر عليه أحـد ، ولظلّ الكنز الثمين دفيناً إلى الأبد . . .

قال عامر : وكيف سنسلمه إلى جدّو وباب حجرته مغلق ! وكذلك بابنا ! فأجابه عارف : فلنفكّر الآن أولاً فى الرجوع . . هيّا بنا فقد تضايقت من الظلام والرطوبة . وأظن أن مرجان تضايق أيضاً ، وسنجده فى انتظارنا يتمدّد على السرير كعادته !

° ° °

بدأت رحلة العودة ، وكان عامر يقود الطابور وهو يحتضن الكنز الثمين . وقبل أن يصلوا إلى منحنى الطريق الخطر ، وقد أصبح الآن إلى يمينهم ، على حين كان فى رحلة الذهاب إلى يسارهم ، سمعوا صوتاً لم يكونوا يتوقعونه : هو صوت وقع أقدام ! !

كانوا يتقدمون بسرعة ، وعلى قدر ما تسمح به حالة الطريق ، عندما سمعوا أصواتاً آدمية تختلط مع صوت وقع الأقدام ! !

فتح « عامر » الكيس الأسود فوجد به صندوقاً متوسط الحجم ملفوفاً فى ورقة أصفر لونها

توقفوا عن السير فجأة وهم يحاولون الاختباء وراء المنحنى الخطر ! وبعد دقيقة من الانتظار ، مرّت عليهم كدهر ، رأوا شعاعاً ضعيفاً من النور يتحرك ناحيتهم ، ولكنه توقّف فجأة ، ثم ابتدأت الأصوات تتكلم ! ! !

تعرّفوا على الصوت فى الحال ! لاجدال فى أنه صوت سلطان الأجشّ ، وكان يقول : ها هو طريق ثالث يتفرّع إلى اليسار ! ! ! . فأجابه الصوت الثانى قائلاً : فلنأخذ هذا الطريق ! ! ! . وكان صوت مبروكة ، كيف لهم أن يخطئوه ؟ إنهم يميّزون صوتها الرفيع من بين أصوات العالم أجمع .

قال لها سلطان : لابدّ أنهم هنا فى مكان مّا من النفق ! الويل لهم إذا وضعت يدى عليهم ! . فأجابته مبروكة : المهمّ أن نضع أيدينا على الكنز لا عليهم !

ثم سمعوا صوت ضحكة عالية ارتجت لها حوائط النفق ، ومبروكة تقول : عندى فكرة نيّرة ! عندما نعثر عليهم ، ننتزع الكنز منهم إذا كانوا قد عثروا عليه ، ثم نتركهم داخل النفق ونسدّ عليهم الباب ، إلى أن نهرب بعيداً بالكنز . . فما رأيك ؟ ؟

وما إن انتهيا من حديثهما ، حتى بدآ فى التحرك نحوهم ! ولكن حدث ما لم يكن فى الحسبان ! . إذ صدرت صرخة عالية من مبروكة وهى تقول : ها هو القط ! لابدّ أنهم قريبون من هذا المكان ، إن مرجاناً سيقودنا إليهم ! فهم لا يفارقونه ولا يفارقهم .

جرى مرجان بأقصى سرعة ، ودخل فى الطريق الثالث الخطر ! يتبعه سلطان ومبروكة ! . .

انتهز الثلاثة هذه الفرصة الذهبية التى أتاحها لهم مرجان ، وتابعوا السير إلى الأمام فى طريق العودة إلى المنزل .

ولكن عامر توقف بعد لحظة وقال لعارف : ارجع أنت مع عالية إلى المنزل ، وسأتبعكما بعد قليل . سأذهب للبحث عن مرجان إذ لا يمكن أن نتركه وحيداً مع سلطان ومبروكة !

فأجابه عارف : بل سأذهب أنا فهو قطّى وأنا مسئول عنه . . .

ولكن ما إن ختم عارف حديثه ، حتى مرق مرجان أمامهم كالسهم الطائر ، بعد أن ضلّل سلطان ومبروكة ، ثم هرب منهما بخفة دون أن يشعرا به !

وإذا كان هناك رقم قياسى عالمى لاجتياز الأنفاق ،

فلاشك أن الثلاثة المغامرين الصغار قد ضربوه ! فقد وصلوا إلى مدخل النفق فى دقائق معدودات .

تسلّقوا السلم الخشبىّ ، ودخلوا الحجرة الصغيرة المسروقة وهم يلهثون من العدو ، ليجدوا القط مرجان يتمدّد على السرير ، وكأنه وصل توّاً من نزهة جميلة ، وباب الحجرة مفتوح على مصراعيه .

قال عامر : هل سنفعل بهما الآن . . . .

أدرك عارف وعالية ما يدور فى رأس عامر ، إذ كانا يفكّران فى نفس الشىء ! . .

أليس هذا هو ما كان سلطان ومبروكة ينويانه بهم ! ! ! .

قال عامر : نحن مضطرون إلى ذلك . . ولا مناص من حجزهما فى النفق قبل أن يرجعا . . هذا إذا رجعا سالمين بعد أن دخلا الطريق الخطر ! والفضل فى ذلك يرجع إلى مرجان !

ثبتوا اللوح الخشبىّ العريض فى مكانه ، وألقوا عليه ما أمكنهم حمله من الغرفتين حتى تتعذّر إزالته .

وهكذا سجنوا العفريتة مبروكة ، وسلطان الشرير ، فى النفق ، إلى حين أن يتصرّف جدّهم فى أمرهما . .

وبعد أن كلّلت مهمتهم بهذا الانتصار الباهر ، حمل عامر الصندوق الثمين ، وأسرعوا به إلى حجرة جدّهم عمران . . .

كان فى نيّتهم أن يحطّموا باب غرفته إذا تعذّر عليهم فتحه .

ولكنهم وجدوا أمامهم مفاجأة سارة سعيدة ! فقد كان الباب مفتوحاً ، وسمارة المخلص الأمين يقف أمامه فى انتظار النجدة .

جحظت عينا سمارة عندما شاهدهم ، فقد كانوا اثنان عندما رآهما لآخر مرة . . فإذا بهم الآن ثلاثة ! . . فهو لم يشاهد عامراً من قبل !

صاحت عالية وهى تقول لسمارة : كيف حال جدّو يا سمارة ؟

وإذا بصوت عمران يناديهم من الداخل : كيف حالكم يا أولاد . .

تعالوا . . تعالوا ادخلوا . .

كانت عالية أول من دخل الحجرة ، وارتمت فى أحضان جدّها وأخذت تقبّله ودموع الفرح تطفر من

عينيها وتسيل على خديها ، وهى تقول له : كيف حالك أنت يا جدّو . . الحمد لله على سلامتك !

° ° °

الكنز

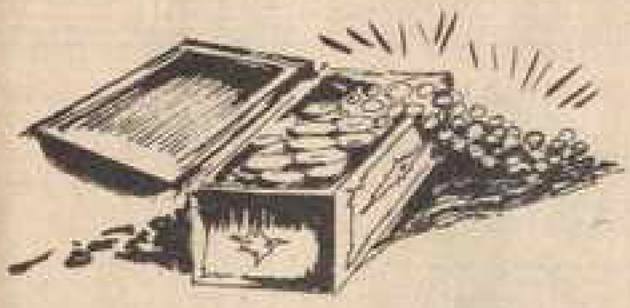

كان عمران يرقد على سريره وهو يستعيد نشاطه بعد الحوادث المثيرة التى مرّت به . وكان الأربعة يلتفّـون حوله : عامر ، وعارف ، وعالية ، وسمارة . أما مرجان فقد قفز على السرير وتمدّد عليه بجانب عمران .

وكانوا يتكلمون فى نفس واحد ، كل منهم يريد أن يروى القصة على لسانه .

قال لهم الجدّ : اعملوا معروف ! تكلموا بالدّور ! وإلاّ فلن نصل إلى نتيجة .. ولكن .. وقبل كل شىء .. أين مبروكة وسلطان ؟ ؟

تنحنح عامر وأجابه : لا تحمل همهما يا جدّو .. هما الآن .. يعنى .. فى الحجز ! ! ..

فظهرت أمارات الدهشة على وجه عمران وقال : الحجز ! ! ومن وضعهم فى الحجز .. على كل حال هما يستحقان ذلك وأكثر ..

فقالت عالية وهى تضحك كعادتها : الحجز يعنى .. فى النفق !

ازدادت دهشة عمران وقال : نفق ! أى نفق ! آه صحيح .. طبعاً .. طبعاً .. النفق !

سأله عامر : إذن فأنت تعلم بأمر النفق ! . فأجابه عمران : طبعاً أعلم .. ولكنى كنت نسيته تماماً . كنا نلعب فيه أنا وأخى محروس فى طفولتنا ، ولكن والدنا منعنا من ذلك بعد أن كدنا نهلك فيه ذات مرة ، وسدّه بألواح خشبية ثقيلة ..

ثم نظر إليهم طويلاً ، وكأنه يرتاب فى صحة كلامهم : أتقصدون أنكم كنتم فى النفق مع مبروكة وسلطان ! .. وهل هما مازالا فيه تحت الأرض هناك ؟ !

قالت له عالية وكأنها تريد أن تبرّر فعلتهم : نحن نشعر بفعلتنا القاسية معهما ، ولكنهما كانا ينويان بنا شراً ، وهذا جزاء عملهما !

فقال عمران وهو يغمز بعينه : والآن مبروكة وسلطان . . فى الحفظ والأمان ! إلى أن نستدعى لهما رجال الأمن . . ونضعهما فى الليمان !

جلسوا حوله على السرير وهم يتحرّقون على سماع قصته المثيرة وما فعلته به مبروكة وسلطان ، فى حين وقف سمارة بجواره ساكناً .

بدأ عمران وهو يوجّه حديثه إلى عارف وعالية : بعد أن اجتمعت بكما فى المكتبة لآخر مرّة ، وأطلعتكما على الخريطة ، ثم غادرتما المنزل للذهاب إلى الشاطئ . . هل تذكران ذلك ؟

فقالت له عالية : طبعاً . . وكيف ننساه ! عندما دخلت علينا مبروكة فجأة بدون استئذان . .

فقال عمران : تماماً . بعدها جلست وحيداً فغلبنى النعاس ، ولكنى استيقظت فجأة على صوت دقّ عنيف على الباب الخارجى للمنزل ، ثم دخلت مبروكة لتخطرنى أن رجلاً اسمه سلطان يطلب مقابلتى !

فقال عارف : لقد قابلنا سلطاناً أمام الحظيرة ، وذكر لنا أنه يريد مقابلتك . . ولم نكن نعلم أنه شرير أفّاك . .

وأنه ابن مبروكة ! !

واصل عمران حديثه ، وقد ظهرت علامات الحزن على وجهه ، بعد أن فوجئ بهذا الخبر الذى لم يكن يخطر له على بال : ابن مبروكة ! ! !

يا للعينة الشيطانة . . الآن فقط فهمت أشياء كثيرة وضحت لى . ولكن هذا لا يهم الآن . . لقد انقضى أمره . . فلنرجع إلى مبروكة . . لما سألتها ماذا يريد هذا الرجل ؟ أجابت بأنه يريد شراء المنزل ! فقلت لها : ولماذا يسألك أنت ؟ أما كان الواجب عليه أن يفاتحنى أنا صاحب المنزل ! أبلغيه أن المنزل ليس للبيع ، وأنى أرفض مقابلته !

صمت عمران قليلاً لكى يلتقط أنفاسه ، ثم استمر فى روايته : ولكنها قالت لى : حسناً . سأبلّغه ذلك ، ثم سأرجع إليك لكى أرافقك إلى حجرتك ! ! . . فشككت فى الأمر ، وأنها تريد أن تتخلّص منى . فغضبت ونهرتها بشدة وقلت لها : بل سأمكث هنا فى المكتبة ! ولن أتحرك من هنا ! وهدّدتها بالطرد من خدمتى لوقاحتها . .

ثم توقف عن حديثه ، وكان يضحك كلما تذكر مبروكة وهى تحاول فى هذه اللحظة أن تتخلّص من سجنها فى النفق ،

فلا تجد لنفسها خلاصاً !

وبعد أن هدأ قليلاً تابع حديثه : تضايقت مبروكة لأننى صممت على الجلوس فى المكتبة ، ولكنها خرجت – حسب قولها – لتصرف الزائر الغريب . وهذا ما كنت أظنّها ستفعله . ولابدّ أنى غفوت ثانياً ، إلى أن صحوت على أصوات تتكلم ، أحدها لمبروكة ، والثانى لابنها الشرير ، و . .

وقبل أن يتم حديثه ، قاطعه عارف وهو يتكلم بسرعة مائة كلمة فى الدقيقة : نحن نعرف ماذا فعلت أنت بعد ذلك يا جدّو . . اندفعت إلى المكتبة . . وأخرجت كتاب جزيرة الكنز . . وسحبت منه الخريطة . . ووضعت الكتاب على الرفّ بسرعة . ولكنك أخطأت مكانه الأول ربما من باب العجلة ! !

فقال له عمران : يا لك من ولد ذكيّ . . وكيف عرفت ذلك ؟

فأجابه عارف : لأننا لما رجعنا للكتاب فيما بعد وجدناه فى مكان مختلف . كما أن الخريطة اختفت من بين صفحتى ٧٥ و ٧٦ . ولكن أخبرنا الآن ماذا حدث بعد ذلك ؟

قال عمران : دخلت مبروكة وسلطان المكتبة ، وكانت

الخريطة ما زالت فى يدى ، ولكنى أخفيتها بسرعة . . فى جيبى الداخلى على ما أتذكّر ، ووجدت أنه من الأصوب والأسلم أن أترك لهما المكتبة بما فيها . . فما خوفى والخريطة أصبحت فى حوزتى ! ! ولا قدرة لى على مقاومتهما ، ثم صعدت إلى حجرتى مستسلماً ، خوفاً من ابن مبروكة الذى كان يبدو كالوحش الكاسر . ولكن اللعينة كانت تتبعنى كقصّاص الأثر ، وما إن فتحت الباب حتى دفعتنى بقوة وعنف داخل الغرفة . وكان سمارة يشاهد ما يحدث وهو يقف مختبئاً فى ركن بالطرقة . . أليس كذلك يا سمارة ؟ . . والآن حلّ دورك يا سمارة لتروى قصتك ! . .

كان سمارة يقف منزوياً ، ولكنه كان يشعر بالفخر والزهو فى قرارة نفسه . . أليس هو الآن بطلاً حقيقياً من أبطال هذه القصة المثيرة ؟

قال سمارة : كنت فى الحظيرة عندما قررّت أن أعترف لسيدى عمران بسرّ . . . .

ولكن عالية سبقته وحدثته قائلة : عرفنا يا سمارة أنك تحتفظ بمعزة اسمها ظريفة ! وسمعناها وهى تمأمئ ، وأنا متأكدة أن جدّو لا يمانع فى أن تحتفظ بها .

قال عمران على الفور : ولماذا أمانع ؟ مبروكة هى التى تمانع ! .

تشجّع سمارة بهذا القول وتابع حديثه : وجدت ظريفة تائهة فى الصحراء المجاورة ، فأخذتها إلى الحظيرة المهجورة وخبأتها هناك لمعالجة ساقها ، لأنها كانت تعرج ، ولكن مبروكة اكتشفت المعزة . .

قالت عالية لسمارة : نعرف يا سمارة أنك تحبّ المعزة وتعطف وتحنو عليها ، فقد سمعناك تتحدث معها وتلاغيها . . وكنت ستبوح لها بسرّ ! ولكننا قررنا أن نترك المكان قبل أن نستمع لهذا السرّ . .

نظر إليهما سمارة نظرة الإكبار والاحترام ، ثم واصل روايته : وفى يوم . . طلبت منى مبروكة مساعدتها فى البحث عن شىء معيّن فى المكتبة ، وأنا أعلم أنه لا يخصها ، فما شأنها بالمكتبة ! ! . . فرفضت تلبية رغبتها . . فهدّدتنى بذبح المعزة إن أنا أفشيت سرّها ! وهذا هو السرّ الذى قلته فى أذن ظريفة !

قال عمران : سمارة ولد أمين ، وأنا مدين له بالكثير فقد أنقذ حياتى ! أكمل القصة يا سمارة . .

قال سمارة : ولمّا ذهبت لأبلّغ سيدى عمران ، فوجئت بأن رأيت مبروكة وهى تدفعه داخل الحجرة بقسوة متناهية ، وتقفل بابها بالمفتاح وتضعه فى جيبها . . ثم انصرفت مسرعة . .

قال له عمران : ولكنك نسيت أن تذكر شيئاً هاماً يا سمارة !

فاستدرك سمارة وقال : صحيح . . قبل أن تدفعه مبروكة داخل الحجرة . . رأيت شيئاً يسقط من جيبه ، ولكن لحسن الحظ لم تتنبّه مبروكة إليه ، فذهبت بعد انصرافها والتقطته ، فوجدته ورقة صفراء بها رسم يشبه فرع الشجرة ! فاحتفظت بها فى جيبى إلى حين أن تفتح مبروكة الباب وأسلّمها لسيدى عمران .

فقال عمران : نعم . . كان الباب مقفلاً علىّ ، وأنا أرقد على سريرى فاقد الوعى . . لأن مبروكة ناولتنى حبوباً منوّمة بدلاً من الدواء ! ولكن سمارة جاء بمفاتيح المنزل كلها وجرّبها فى الباب حتى فتحه . . وأيقظنى برش الماء البارد على وجهى .

وجهت عالية حديثها إلى سمارة قائلة : وماذا فعلت بالورقة الصفراء يا سمارة ؟ . .

فأجابها : أدركت أن هذه الورقة هامة ، وخفت أن تكتشفها مبروكة معى . . لأنها كانت تراقبنى وتتعقّبنى ، فقررت أن أعطيها لكما . . ولمّا سنحت لى الفرصة وضعتها تحت الصحن فى صينية الطعام .

فصاحت عالية : إذن هو أنت الذى وضعت الورقة على الصينية ! !

فأجابها سمارة : نعم . وعندما أتيت بالصوانى إلى غرفتكما كان فى نيتى أن أتحدث معكما ، ولكن مبروكة كانت تتسمّع علىّ ، ففكرت فى تأجيل الحديث إلى حين رجوعى لاسترداد الصوانى .

فقال له عارف : كفى يا سمارة ! فباقى قصتك نعرفه ، وإن كنا سمعناه من وراء الأبواب ولم نره ! . . فقد حدث أن تتبعّك سلطان إلى الدور العلوى . . وقذف بك من أعلى السلم . وكنا نحن خائفين على حياتك ونريد مساعدتك ، ولكن لم يكن بيدنا حيلة فبابنا مغلق علينا ، ولكننا شاهدناك من النافذة وأنت تعرج وتجرى نحو الحظيرة . .

فأجابه سمارة : نعم . هربت من الرجل الشرير . . وذهبت للاطمئنان على ظريفة لئلا تكون مبروكة ذبحتها .

صمتوا جميعاً . . إلى أن وجه عامر حديثه إلى عمران قائلاً : ولكن لماذا يا جدّو لم تخطر والدنا ، أو تذكر لنا شيئاً عن وفاة عمّو محروس ؟

فكّر عمران قليلاً وقال : عندما سقط أخى محروس من فوق الصخرة ، كنت أعتقد أنه لاقى حتفه قضاءً وقدراً . . ولكن الإشاعات راجت بأنه مات قتيلاً . . فلم أذع النبأ وقتئذ حتى تظهر الحقيقة .

فقال عامر : يمكنك الآن أن تعلن النبأ . . فقد اعترف سلطان بأنه هو الذى دفعه من فوق الصخرة . . وقد سمعناه بأنفسنا وهو يصرّح بذلك لمبروكة .

فقال عمران والحزن يكاد يعصره : الحمد لله الذى جاء هذا الكشف أخيراً على أيديكم . .

أخذ عمران يجول بنظراته بينهم ، إلى أن وقعت عيناه على عامر ، وكان ما زال يحمل الصندوق بين يديه . فقال له : والآن ما هى قصتكم ، وكيف حبستم مبروكة وسلطان فى النفق ؟ وما هذا الذى تحمله بين يديك ؟

فأجابه عامر : هذا الصندوق هو نهاية قصّتنا ، ولكن يحسن أن تسمع بدايتها . .

كان عمران يستمع إلى قصتهم باهتمام زائد حتى ختمها عامر . .ثم قدّم إليه الصندوق . .

وعندما قرأ عمران ما كتب على الورقة الصفراء بالمداد الأحمر :

إلى عمران الطيّب . . من محروس الشقى ، اغرورقت عيناه بالدموع وقال : هكذا كان أخى محروس دائماً . . . ولد شقىّ . . ولكنه طيّب جداً .

وضع عمران الصندوق أمامه على السرير . فأخذ الجميع يتطلّعون إليه فى لهفة . وقد تعمّد عمران أن يبطئ فى فتح الصندوق ليزيد من إثارتهم . وأخيراً لم تتمكن عالية من ضبط شعورها ، فصاحت فيه : افتح بسرعة يا جدّو !

فتح عمران الصندوق . . وظهر ما فى داخله . . كانت ثروة طائلة من الجنيهات الذهبية . . وبعض الفصوص الماسية ، يخطف وميضها الأبصار !

ظلّوا جميعاً ساهمين وهم لا يصدّقون أعينهم ، إلى أن سألته عالية : وماذا ستفعل يا جدّو بهذه الثروة الكبيرة ؟

نظر عمران إليهم فى عطف وحنان ثم قال : أنا لم أتعب فى هذه الثروة . . وماذا عساى أن أفعل بها الآن فى هذه

السنّ المتقدمة . .

سيأخذ هذه الثروة من تعب وعثر عليها . . أنتم الثلاثة . . ولسمارة نصيب كبير فيها جزاء أمانته وإخلاصه وشجاعته . .

فقال له عامر : من واجبنا أن نتعب لردّ الحق إلى أصحابه ، والعدل إلى نصابه . فنحن إن قبلنا الثروة فسوف نقبلها كحق يؤول لنا كأحفادك ، وليس جزاءً أو مقابلاً لما فعلناه .

نظر الجدّ إلى أحفاده نظرة الإكبار وقال : جزاكم الله خيراً ، وهذا ما كنت أنتظره من أحفادى الشجعان ، فقد أثبتم أنكم رجال .

ضحكت عالية على جملته الأخيرة ، وعاودها مرحها المعهود وقالت : وحتى أنا يا جدّو ؟ . .

فضحك عمران وقال لها : إنما أقصد أن لك شجاعة الرجال فقط يا عالية . . .

° ° °

هجم عليه المغامرون الثلاثة يقبّلونه ، فى حين وقف سمارة فى مكانه بلا حراك . . أما مرجان فكان يغطّ فى نوم عميق .

وبعد أن هدأ الحال ، أخذ عمران يضحك عالياً ، ولما سألوه : ما الذى يضحكك الآن يا جدّو ؟

أجابهم قائلا : تصوّروا ! ! لولا مرض عارف وعالية بالإنفلونزا . . . لظلّ هذا الكنز مدفوناً إلى الأبد ! !

* * *

(تمت)

لغز الخريطة العجيبة

ما هو لغز الخريطة العجيبة ؟

هى خريطة ناقصة مبهمة ، اكتشفها الجدّ «عمران» ، واستعان بأحفاده المغامرين «عامر» و«عارف» و«عالية» على فك رموزها . ترى ماذا تكشف عنه هذه الخريطة ؟

يجتاز المغامرون المخاطرات الرهيبة ، ويتعرضون لدسائس ومؤامرات للوصول إلى فك طلاسم هذه الرموز .

هل ينجحون ؟

هذا ما ستعرفه فى هذا اللغز المثير .

دار المعارف

ص
١٥